الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولاي الطّاهـر بسعيدة

كلية الآداب واللّغات والفنون. قسم اللّغة والأدب.

التّخصص :لسانيات عامة.

الموضـــوع: بحث مقدّم لنيل شهادة ماستر في اللّغة العربية و آدابها.

عنوان المذكرة

أثر مستويات التحليل اللّساني في تفسير النّص القرآني

تفسير التّحرير والتنوير لابن عاشور(أنموذجا)

من إعداد الطالبة :درنـــي حورية. إشراف الدكتور : رويسات محمد.

لجنة المناقشة :

الدكتور:زحاف الجيلالي .....جامعة سعيدة:رئيسًا.

الأستاذ الدكتور:رويسات محمد .....جامعة سعيدة:مشرفا ومقررًا.

الدكتور:الهاشمي الطّاهر .....جامعة سعيدة:ممتحنًا.

السنة الجامعيـة: 1437. 1438هـ /2017 . 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

الشكر للّه أولاً و آخرًا على ما منّ عليّ من إتمام هذا العمل بعد جهد مضن وطريق شاق، وله الحمد والشكر على نعمة الصّحة والعافية وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى ،كما أوجه بشكري الخاص إلى أستاذي الفاضل الدكتور " رويسات محمد"، التي أشرف على سير هذا البحث العلمي ، وأشكر له نصحه وحرصه على أن يكون العمل في أحسن صورة ، ولا أنسى كلّ من أعانني على هذا التحصيل من قريب أو بعيد من دون أن أنسى أساتذتي الكرام طوال مدّة دراستي وما بذلوه لي من احترام وتقدير، وإلى كلّ قسم اللّغة العربية وما يقدّموه من مجهودات جبّارة في سبيل كلية الآداب وطلابها ، مع تمنياتي بالتوفيق لكّل طالب مجدّ، وخاصّة قسم الدّراسات اللّغوية وأشهد اللّه أنّي لفضلهم شاكرة.

درني حوريّة.

إهـــداء:

إلى التي يعجز اللسان عن شكرها، وتعجز العبارات عن وصفها

إلى ينبوع الحنان وبلسم الجرح ونسيم الفؤاد وقرة العين :

أمي الغالية.

إلى من حمل الهم عنيّ عندما كلّت يميني ، وإلى من آزرني وساندني

في أمر دنياي وديني ،إلي رفيق الدّرب وشريك الحياة:

زوجي الغالي.

إلى من صبرن على غيابي وأنا بينهن ، إلى من دعون لي بالتوفيق

والإعانـة ، بناتي الحبيبات: مريم ، جويرية ، والكتكوتة صفية.

وإلى كلّ أخوتي وأخواتي ، وإلى صديقاتي ،وكلّ من حفزني بالكلمة الطّيبة

ولم ينساني بالدعاء الصّادق و عاملني بقلب محبّ وتمنى لي الفأل الحسن.

أهدي ثمرة جهدي وعملي المجدّ المثابر، مع دعائي لهم بالتوفيق لما

يحب ربنا ويرضاه.

مقدّمة.

بلغت عناية المسلمين – بفهم القرآن الكريم- مبلغًا عظيمًا، كيف لا ؟ وهو كتابهم المقدس ، وكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد، واجتهادهم في فهمه جعلهم يبذلون الغالي والنّفيس لأجل تحقيق غاية معرفة معانيه و بيان مقاصده و مراميه، وإجلاء تراكيبه ومبانيه، فظهرت الدّراسات والأبحاث ، وتعددت العلوم والمعارف ، وكلّها تدور حول غاية نبيلة ، وهي الحفاظ على النّص القرآني من التّحريف والتّصحيف والتّبديل، ولقد كان لعلم التّفسير والمختصين فيه الدّور الكبير في الوصول إلى كنه القرآن الكريم ، وبلوغ أبعاده الخفية، ولفهم النّص القرآني وفقه الكلام الرّباني، كان لزامًا على المشتغلين بهذا العلم أن يبحثوا عن السّبل الميسّرة التي تحكم هذا العلم ، وتوجّه من يسلكه ويقتفيه، وقد عُلم أنّ التّبحر في محيط التّفسير لا يؤتى إلاّ لمن مُلئ قلبه وعقله بالفطنة وأحاط بعلوم جمّة ومعارف شتّى ، وقد انطلقوا في هذا كلّه من لغة القرآن التي نزل بها ، وأعجز أهلها بنظمها وهي اللّغة العربية، وبما أنّ القرآن العظيم اعتبر نموذجًا لغويًا بامتياز ، فقد كان لمستويات التّحليل اللّغوي (اللّساني)، أثرٌ واسعٌ وملحوظٌ في تفسيره .

ففيم تجلى أثر مستويات التّحليل اللّساني في تفسير النّص القرآني ؟ وكيف تجسّد ذلك في تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور؟

في بحثنا هذا سنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية منطلقين أساسًا من تساؤلات فرعية: –

ما مدى حاجة المفسّر لعلوم اللّغة؟ –

ما هو التّفسير اللّغوي؟ –

ما علاقة المستويات اللّغوية بالدّراسات القرآنية ؟

وأسئلة أخرى تعتبر بمثابة أهم المحاور المطروقة في هذا البحث .

يتميّز النّص القرآني بالدّقة والضّبط اللاّمتناهي في مفرداته وتراكيبه وشتّى صوره، وإنّ نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فتح للغته باباً واسعًا من أبواب النّمو والغنى، الذي لم يكن ليؤتى لها لولا فضل هذا الكتاب، فقد نشأت علوم العربية في ظلال القرآن و ترعرعت في رحابه، وفي المقابل فقد

توسّل المفسّرون له بفروع هذه اللّغة واستطاعوا دراسة القرآن حسب مستوياتها ، فهذه الأخيرة كان لها أثرٌ ملحوظٌ في فهم مقاصد الذكر الحكيم ، وقد مثّل القرآن نموذجًا لسانيًا عربيًا بكلّ ما تعنيه الكلمة، سواءً على المستوى: الصّوتي، الصّرفي، النّحوي أو الدّلالي، فكان رجوع المفسرين إلى مختلف هذه الفروع كفيلاً باستيعاب الحصيلة اللّغوية والدلالة التي ينطوي عليها الخطاب القرآني ولعلّ من أهم الأسباب التي دفعت بنا إلى البحث في هذا الموضوع ما يلي:

–اتّصال الموضوع بالدّراسات القرآنية ، وما في ذلك من فائدة وفضل. —

طبيعة هذا الموضوع الذي يمثل نقطة تقاطع بين علم التّفسير الذي هو من علوم القرآن ، وبين فروع علم اللّغة أو المستويات اللّسانية ، ومعالجتها في ظل الدّراسات اللّغوية. —كون

هذه الدّراسة تمثل صميم التّخصص الذي ننتمي إليه. —كون

القرآن الكريم يمثّل النموذج الأمثل الذي تتجسّد فيه جميع المستويات اللّغوية. — الميل الشّخصي في معالجة مثل هذه المواضيع التي تخدم القرآن العظيم.

وقد اتّبعنا المنهج الوصفي والتحليلي في سير هذا البحث نظرًا لكوننا بصدد وصف قضايا لغوية ومحاولة تحليلها وتطبيقها على النصوص القرآنية .

على ضوء ما أسلفنا ذكره ، حاولنا إثارة هذا الموضوع، متبعين خطة بحث استهللناها بمقدمة متبوعة بمدخل ، يليه أربعة فصول ــ وذلك راجع إلى طبيعة الموضوع ــ وكلّ فصل قسمناه إلى مبحثين، أحدهما نظري والآخر تطبيقي ، ثم خاتمة وقائمة بأهم المصادر و المراجع المعتمدة ، أمّا مقدّمة البحث ذكرنا فيه أهم العناصر التي يجب أن تتوفر من تحديد لموضوع الدّراسة، وهو التّفسير ومدى حاجتنا لفهم القرآن بدءاً من لغة نزوله، وما في الاستعانة بفروع اللّغة من أهمية لفقه مقاصد الذكر الحكيم ، منطلقين من الإشكالية قصد الإجابة عن بعض التّساؤلات الفرعية، وقد تطرقنا إلى أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتّبع ، معرجين على ذكر بعض الصعوبات التي واجهتنا في سير هذا البحث، وصولاً إلى أهم المراجع المعتمدة والخطة المتّبعة ، ويلي ذلك : مدخل البحث الذي عالجنا فيه بعض المباحث الأساسية كالتّعريف بالتّفسير عموما ، والتّفسير اللّغوي على وجه الخصوص ،

مبرزين موضوع التّفسير و أهم العلوم التي يحتاجها المفسّر، بالإضافة إلى ضوابط التّفسير باللّغة ، ومن ثمّ انتقلنا إلى لب هذه الدّراسة، مبتدئين بالفصل الأول والذي كان عن أثر المستوى الصّوتي في تفسير النّص القرآني، وقد قسمناه إلى مبحثين أساسين أمّا الأول فيدور حول الحديث عن المستوى الصّوتي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم، تعرضنا فيه لبعض النّقاط الأساسية من مثل : تعريف المستوى الصّوتي ، الطبيعة الصّوتية للقرآن ، فروع علم الأصوات، وظائف الصّوت اللّغوي، ودلالة الصّوت في القرآن الكريم ، منتقلين بعد ذلك إلى المبحث الثاني من هذا الفصل الذي يحوي بعض النّماذج من نصوص القرآن يظهر فيها بوضوح مدى الأثر الذي يخلّفه المستوى الصّوتي في فهم معاني القرآن انطلاقا من تفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور ، بعد ذلك انتقلنا إلى الفصل الثاني والذي تناولنا فيه أثر المستوى الصّرفي في تفسير النّص القرآني ، والذي قسمناه بدوره إلى مبحثين رئيسين: أمّا المبحث الأول فهو عن المستوى الصّرفي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم ، تحدثنا فيه عن بعض النّقاط المتصلّة بموضوع الصّرف من مثل: التعريف بالصّرف، مكونات النّظام الصّرفي في اللّغة العربية، تعريف الميزان الصّرفي و فوائده، موقع المستوى الصّرفي من المستويات اللّسانية و الدّلالة التّصريفية في القرآن الكريم ، وانتقلنا بعد ذلك إلى المبحث التّطبيقي للفصل والذي سُقنا فيه بعض النّماذج القرآنية المأخوذة من التّفسير السّابق للوصول إلى معرفة أثر المستوى الصّرفي في تفسير النّص القرآني، و بعد هذا كان الفصل الثالث : والذي كان يدور حول أثر المستوى النّحوي في تفسير النّص القرآني ، في قسمه الأول تناولنا في مبحث: المستوى النّحوي في الدّراسات اللّغوية و علاقته بالقرآن الكريم، متحدثين عن بعض المسائل المتعلقة بالدّرس النّحوي ، وأهم النّقاط المتعرّض لها في هذا المبحث: تعريف النّحو، النّحو في الدّراسات اللّسانية ، نشأة النّحو العربي، وظيفة النّحو وغايته ، مكونات النّظام النّحوي العربي ، العلاقات والقرائن النّحوية و الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم، ومنه انتقلنا إلى المبحث التّطبيقي من هذا الفصل ممثلين لهذا المستوى ببعض النماذج القرآنية التي يظهر فيها بوضوح أثر المستوى النّحوي في تفسير التّحرير والتّنوير لابن عاشور، أمّا الفصل الرّابع والذي تناولنا فيه أثر المستوى الدّلالي في تفسير النّص القرآني ، فقد عمدنا فيه إلى دراسة أثر هذا المستوى من خلال تقسيمه إلى مبحثين: أولاهما يعنى بدراسة : المستوى الدّلالي

وموقعه من الدّراسات اللّغوية وكذا علاقته بالدّراسات القرآنية، وقد اختص المبحث الأول منه بدراسة نظرية تطرقنا فيها لِبعض النقاط الأساسية من تعريف الدلالة وعلم الدّلالة ، مكانة علم الدلالة بين الفروع اللّغوية و كذا في الدّراسات اللّسانية الحديثة ، وتحدثنا عن الدّلالة في التراث العربي وأنواعها، كما تكلمنا عن بعض المباحث الدّلالية، كالتّرادف، المشترك اللّفظي ، التّضاد، السّياق وأسباب النّزول.... محاولين تطبيق أهم هذه المحاور في المبحث الثاني على تفسير ابن عاشور من خلال سوق بعض النّماذج القرآنية التي يظهر من خلالها أثر المستوى الدّلالي في تفسير النّص القرآني ، وتحديدا التفسير المذكور سابقًا (التحرير والتّنوير) ، وبعد هذه الفصول أنهينا عملنا بخاتمة أجملنا فيه أهم النّتائج المستقاة منه، يليها قائمة للمصادر والمراجع المعتمدة ، و فهرس لموضوعات البحث الذي كان شأنه شأن أية دراسة لا تخلو من بعض الصّعوبات والمشاكل التي تواجه الباحث فيها، ولعلّ أهم ما واجهنا نذكر: – كثرة المراجع مع صعوبة التّعامل معها نظرًا لتشعب محاور هذا البحث . – محاولة الإحاطة بجميع المستويات بقدر من الإيجاز الذي لا يغفل عن معالجة مباحثها الأساسية. – التّحرز من عدم إعطاء الموضوع حقّه ، خصوصًا لارتباطه بالقرآن العظيم. –كون هذا الموضوع– في الحقيقة– مشتمل على مادة غزيرة ، إلاّ أنّنا حاولنا الإلمام ببعض جوانب مستويات التحليل اللّساني محاولين تطبيقها على النّصوص القرآنية، مستعينين في كلّ ذلك بمجموعة معتبرة من المصادر والمراجع ، نذكر أهمها فيما يلي :

- الخصائص لأبي الفتح ابن جني .
- البرهان في علوم القرآن لبدر الدّين الزركشي.
- التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم لمساعد بن سليمان الطّيار.
- مدخل إلى علم اللّغة لمحمود فهمي الحجازي.
- دراسات في فقه اللّغة لصبحي الصّالح.
- اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين لنادية رمضان النّجار.

- مدخل إلى اللّسانيات لمحمد محمد يونس علي .
- مباحث في اللّسانيات (الصّوتي، الدّلالي، التّركيبي)، لأحمد حساني.
- اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسّان.
- مبادئ في اللّسانيات لأحمد محمد قدور.

بالإضافة إلى طائفة من الكتب القيّمة التي لا ننسى لأصحابها الفضل نظرًا لإثرائها محاور بحثنا، الذي نرجو من الله فيه الإعانة على الإفادة والاستفادة ما أمكننا ذلك والله الموفق.

مدخل:

علم التّفسير وعلاقته بالدّراسات اللّغوية

تمهيد:

اهتم العرب منذ الجاهلية بلغتهم أيّما اهتمام ، فقد كانت لهم مصدر فخر وعزّة ، وتميّز ، ولم يقتصر الأمر على ذلك العصر ، بل تعدّاه إلى ما بعده إثر ظهور ذاك الحدث الجلل وهو نزول القرآن العظيم ، الذي غيّر مسار البشرية جمعاء في شتّى المجالات والعلوم ، وظهر انعكاسه على جميع التّخصصات والفنون.

وحديثنا عن موضوع : أثر مستويات التحليل اللّساني في تفسير النّص القرآني ، يحيلنا إلى البدايات الأولى التي نشأت في أحضانها لغة القرآن : اللّغة العربية ، وكيف ترعرعت ونمت إلى أن صارت في صورتها النّاضجة ، وفي أوج تطورها وازدهارها في عصر النّبوة وما بعده ،فعلى الرّغم من كون بدايتها الأولى كانت ساذجة إن صحّ التعبير وتتسم بالبساطة والعفوية ، إلاّ أنّه قد قدّر لهذه اللّغة الحياة والرّفعة والرّقي، وكان لها الشّرف العظيم لنزول القرآن بلسان عربي مبين ، وقد كان أهل العربية يتحدثون بها على السّليقة ، فلم توضع لها قواعد تعسفية تحكمها ، ولم تسطّر قوانين صارمة بقحّه استعمالها أو نظريات تبلور أسسَها ، بل هي الفطرة أثناء الحديث ، والجودة في التّذوق، والمهارة في النّقد وإصدار الحكم .

وفي صدد ما أسلفنا ذِكره يقول عبد الغفار حامد هلال: "نشأت العربية ضعيفة محدودة في ألفاظها وتصاريفها ، لأنّ مظاهر الحياة آنذاك كانت محدودة ، وفي غضون قرون عديدة تشعبت حاجات أهلها وكثرت متطلباتهم تبعاً لنُموهِم المطّرد ، وتنقلاتهم في موطنها ، وهذا ما يدعو إلى ابتكار لغوي جديد يعبّر عمّا يريدون من رغبات ، فكثرت الألفاظ والتّصرفات اللّغوية التي أخذت صورة التّعدد اللّهجي والتّنوع في العادات الكلامية ، ولهذا تكون اللّغة قد دخلت مرحلة متقدّمة من النّضج والكمال."[1]

ففي كلامه إيحاء على أنّ الفترة التي عقبت احتكاك العرب بالأمم، ازدادت فيها حاجتهم إلى إثراء لغتهم لجعلها تستوعب الثقافات واللّغات الأخرى،وهنا بلغت اللّغة العربية أوج تطورها ونضجها.

---

1)عبد الغفار حامد هلال ، العربية : خصائصها, وسماتها ,مطبعة الجبلاوي ,ط 4 ,1990م ,ص 171.

يقول نعمان بوقرة: "فقد كان القرآن الكريم حدثًا خطيرًا في حياة اللّغة ، إذ قام بتوجيهها إلى أن تكون لغة فكر، وواقع ومستقبل ، وأداة تعبيرية عن منجزات الحضارة الإسلامية، لقد ضمن لها البقاء حتّى غدا هذه البقاء مظهرًا مميّزًا للمعجزة البيانية."[1]

ومن هذا يتبيّن لنا أنّ القرآن الكريم قد حلّق بالعربية عاليًا وسبح بها في فضاء رحب ، وجعلها تمتطي سلم الرّقي والحضارة ، فبعدما كانت لغة قومٍ بعينهم صارت لغة عقيدةٍ وفكرٍ، ودين ومنهج لغة أقوام يتعبّدون اللّه بتعلّمها ، ويتقربون إليه بفقه أسرارها ، والكشف عن دلائل إعجازها، وإذا تبيّن لنا هذا فإنّه من الواضح أن نفهم أنّ الاهتمام باللّغة العربية لم يقتصر على فئة الشّعراء و الأدباء ، أو اللّغويين و النّحويين، أو البلاغيين والنّاقدين وغيرهم من ذوي الاختصاص فحسب ، وإنّما كانت ثمة إسهامات أخرى من لدن المشتغلين بعلوم القرآن ومباحثه، ونذكر منهم : الفقهاء، والأصوليين ، المحدّثين ، ومنهم المفسّرون الذين كان انشغالهم بعلوم اللّغة لا يخفى على أحد ممّن يدرس كتب التّفسير ويتبحّر في أبوابها و يجول بين صفحاتها.

كما أنّ علم التّفسير قد استفاد كثيرًا من مستويات التحليل اللّساني على اختلاف فروعها، بل إنّ النّص القرآني هو رسالة لسانية في حدّ ذاته، كما ذكر ذلك عبد السّلام مسّدي حين قال : "ولنا في الحضارة العربية الإسلامية مثال صارخ يصدح بصدق هذه الظّاهرة ، وهي قضية التّفسير فالنّص القرآني رسالة لسانية في حدّ ذاته ولكنّه أيضًا شهادة عن رسالة عقائدية ، فلعلّه كان من المفروض أن يتحدّد نمط قراءاته منذ نزوله أي منذ حلوله محل الموجود اللّساني... وإذا بالتّفسير علم شرعيٌّ لا يتجدّد بالاحتمال والإمكان بل بالاقتضاء والوجوب ، حتّى خشي بعض علماء الدّين على مرّ الزمان عذاب الآخرة إن هم لم يتوّجوا حياتهم بتفسير للقرآن ..."[2]

و عبد السّلام مسّدي بقوله يشير بوصفه للقرآن أنّه رسالة لسانية لاشتماله على المستويات اللّسانية جميعها، لأنّ اشتغال المفسّر بالنّص القرآني يلزمه التّعرض لتلك الفروع اللّغوية والاستفادة منها في تحليل النّصوص القرآنية، والكشف عن مضامينها، وبيان مقاصدها.

---

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دت.ص07.

[2] عبد السّلام مسّدي ،مباحث تأسيسية في اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة ، لبنان،ط1،2010م ،ص25

ولعلّه من الضّروري ــ قبل أن نلج في موضوع دراستنا ــ أن نبدأ بتعريف علم التّفسير.

1/ تعريف التّفسير:

1.1 لغة: التّفسير، مصدر: فسّر ، فهو من مادة :(ف، س، ر)، وهذه المادّة تدّل على الكشف والبيان، يُقال: فسّر الشيء إذا بيّنه، فالتّفسير هو التبيين، قال تعالى: ••◆❒↓

⍓⌨◷❒✡⬃◎⬂♉ ·•⚲◑ ⬐⬐•✞⍓☺⚲🖎 ⍓⌨◆☼❑➔✍▫⚱◆③

↑ ⬉⊠⬀ ✃◷❸❷⬂❍⬂▦•✍ ⌘♊✽❍⇧❍❒🕮◆❒ ⬀♎🖅⍓•⬂♏♋♋⚲🖎

(الفرقان:33)، أي بيانا وتفصيلاً .[1]

قال صاحب القاموس المحيط :"الفسر: الإبانة وكشف المغطّى كالتفسير والفعل ،كضرب ونصر."[2]

قال صاحب لسان العرب:"الفسر: البيان، فسّر الشيء يفسِّره بالكسر، ويَفسُره بالضّم فسرًا، وفسّره : أبانه، والتّفسير مثله، ثم قال: الفسر:كشف المغطّى، والتفسير: كشف المراد عن اللّفظ المشكل".[3]

أمّا الزركشي فيقول:" هو مقلوب من سفر: ومعناه :الكشف ، ويُقال: سفرت المرأة سُفورًا إذا ألقت خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصّبح :أضاء ، وإنّما بنوا (فسر) على التّفعيل، فقالوا:تفسير للتكثير.[4]

وزاد الزركشي:" أمّا التفسير في اللّغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف ,أصله في اللّغة : من التّفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أنّ الطّبيب بالنّظر فيه يكشف عن علّة المريض، فكذلك المفسّر يكشف عن شأن الآية ، وقصدها ومعناها، والسّبب الذي أنزلت فيه وكأنّه تسمية بالمصدر"[5]

فالمعاني اللّغوية لمادّة (فسّر) كلها تصب في قالب واحد أو مدلولات متقاربة، وهي بمعنى الكشف، الإبانة، البيان، الإظهار والتّمعن والنّظر لإجلاء الصّورة ووضوحها،و هذه المعاني كلّها مطلوبة في علم

1محمد النّقراشي، مناهج المفسّرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، مكتبة النهضة، القصيم ،ج1،ط1407،1هـ،1986م، ص13

[2]مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ،لبنان، ط1426،08هـ،2005م،ص456.

3 جلال الدّين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج6، ط03، 1414هـ،ص361.

4 بدر الدّين محمد الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ، القاهرة ، ط03، 1404هـ، 1984م،ص148.

[5] المرجع نفسه،ص147.

التّفسير، كما أنّ المفهوم اللّغوي يتقاطع مع المفهوم الاصطلاحي، ويشابهه في هذه المدلولات ، وذلك لأنّ تعريف التّفسير:

2.1 إصطلاحًا: كما قال الزّركشي في البرهان: " هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النّازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها ، وخاصّها وعامّها ، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفصلّها... وزاد فيها قوم ، فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وغيرها وأمثالها".[1]

فالتّفسير عند الزركشي _إنطلاقًا من هذا التّعريف_يجمع مباحث متعدّدة من علوم القرآن ، ذلك أنّ المفسّر بحاجة ملحّة لمعرفة هذه العلوم التي ينطلق منها لتفسير الآيات والسور، فكان لزامًا عليه معرفة المكي من المدني ، والمحكم من المتشابه ، والنّاسخ من المنسوخ ، والخاص من العام، والمطلق من المقيّد ، والمجمل من المفصّل، أضف إلى ذلك معرفة أسباب النّزول والحلال من الحرام، وغير ذلك من المحاور الهامة التي تعين المفسّر للوصول إلى الفهم الصّحيح والمعنى الحقيقي الذي يغيب عن عامة النّاس ، وبذلك يتميّز عن غيره ممّن يقرأ القرآن وهو جاهلٌ بمعانيه ودلالاته.

وأمّا أبو حيّان فيذكر في البحر المحيط تعريفًا للتّفسير مفاده أنّه :"علم يُبحث فيه عن كيفية النّطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية و التركيبية، ومعانيها التي تحصل عليها في حالة التركيب."[2]

ولعلّ هذا التّعريف فيه من الدّقة ما فيه ، نظرًا لإشارته الواضحة لمسألة مهمة، وهي التّركيز على: مدلولات القرآن ومعرفة معانيها ، ويشمل ذلك كلّه ما يحتاج إليه المفسّر للكشف عن كنهه وخلفياته المتوارية وراء مفرداته وتراكيبه.

2/موضوع علم التفسير:

[1] المرجع السّابق، ص147.

2 محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان ، ج 01، ط01، 1413ه،1993م ، ص10.

"يعتبر علم التفسير بحق أرفع العلوم الإسلامية قدْرًا وأعلاها شأناً دونه كلّ علم من العلوم الإسلامية على اختلاف أنواعها ، وتنوع مقاصدها ، وتلك حقيقة وبرهان قائمٌ، لا ينكره إلاّ من ينكر ضوء الشّمس ، فموضوع علم التّفسير : كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد، وكلّ العلوم في شرف خدمته، وما من علم منها إلاّ وهو وسيلة من وسائل توضيح معانيه ، وتجلية مقاصده ومراميه."[1]

فالاشتغال بكتاب الله تدبرًا وتلاوة من أجلّ القربات وأرفعها قدْرًا عند الله ، فكيف إذا كان الأمر متعلّقًا بتدبّر معانيه وفهم مراميه وتعلّمها وتعليمها لكلّ تاليه ، فلا شك أن ذلك أسمى ما يسعى إليه عباد الله المخلصون ، ونظراً لتنوّع مواضيع القرآن الكريم، واختلاف قضاياه وتعدد أساليبه ، فإعجازه بيّن لا محال وفهمه يستوجب سعة الإطلاع على شتّى المعارف، وقد أحسن الإمام الزركشي حين قال:" كتاب الله بحره عميق ، وفهمه دقيق ، لا يصل إلى فهمه إلاّ من تبحّر في العلوم وعامل الله بتقواه في السّر والعلانية وأجلّه عند مواقف الشبهات واللّطائف والحقائق ، ولا يفهمها إلاّ من ألقى السّمع وهو شهيد."[2]

فهذا دليل على أنّ المفسّر لكتاب الله لا بدّ أن يكون على دراية تامة بكلّ ما يحيط به من علوم تعينه حتّى لا يعتري عمله النُّقصان والزّلل ، ولا يكتنفه الغموض والشّبهات.

3/ العلوم التي يحتاجها المفسّر:

ذكر محمد حسين الذّهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) جملة من العلوم التي اشترط العلماء معرفة المفسّر لها ، والتي يستطيع بواسطتها أن يفسّر القرآن تفسيرًا مقبولاً ، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسّر من الوقوع في الخطأ ، وتحميه من القول على الله بدون علم ، وهذه العلوم هي :

1. **علم اللّغة:** لأنّ به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد:"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمِا بلغات العرب"، ثم

[1] محمد حسين الذهبي ،كتابك (علم التّفسير)، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت،ص 09.

[2] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص153.

إنّه لابدّ من التّبحر والتّوسع في ذلك ،لأنّ اليسير لا يكفي إذ ربّما كان اللّفظ مشتركًا ، والمفسّر يعلم أحد المعنيين ، ويخفى عليه الآخر، وقد يكون هو المراد.

2. **علم النّحو**: لأنّ المعنى يتغيّر ويختلف باختلاف الإعراب ،فلابدّ من اعتباره.

3. **علم الصّرف**: وبواسطته تعرف الأبنية والصّيغ.

4. **الاشتقاق**: لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما.

علم البلاغة (المعاني، البيان والبديع) : فعلم المعاني يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ، وعلم البيان يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها ، بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وعلم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام.[1]

بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى التي لا غنى للمفسّر كعلم القراءات، علم أصول الدّين ، علم أصول الفقه، علم القصص، علم النّاسخ والمنسوخ، الأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمتشابه ، وقد ركزنا على الجوانب اللّغوية التي يحتاجها المفسّر لأنّها مفتاح كلام الله الذي نزل باللّغة العربية ، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف:02).

وإذا كنّا بصدد الكلام عن مدى أهمية اللّغة في تفسير كتاب الله تعالى، فلابدّ من الإشارة إلى نوع من أنواع التفسير المأثورة عن المفسّرين، وهي تفسير القرآن باللّغة. وقد أدرج بعض العلماء هذا النّوع تحت ما يسمّى : التفسير بالرّأي المحمود.

4/ تفسير القرآن باللّغة :

المقصود به تفسير القرآن بلغة العرب، وسبب اعتبار هذا طريقًا من طرق التّفسير هو نزول القرآن بلغتها، واعتماده أساليبها في الخطاب ، وممّا يدل على اعتبار اللّغة طريقًا من طرق التّفسير: الحديث في التّفسير النّبوي عن استشكال الصّحابة للظّلم، في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

[1] يُنظر:محمد حسين الذهبي، التّفسير والمفسّرون، مكتبة وهبة ،القاهرة، ج01، ط07، 2000م، ص191.

✍⓾♑⇧✌♦⑨←□♌♦ ↑ (الأنعام: 82) ووجه دلالة هذا الأثر أنّ الصّحابة قد فسّروا الظّلم بما يعرفونه من لغتهم ، ولم ينكر عليهم الرّسول (صلى الله عليه وسلم) هذا ، بل أرشدهم إلى المراد بالظّلم في الآية ، وممّا يدل عليه كذلك اعتماد الصّحابة والتّابعين على اللّغة في تفاسيرهم واستشهادهم بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللّغوية في القرآن"[1]

فهذا منهج واضح بيّن من الصّحابة رضوان الله عليهم، في الرّجوع إلى اللّغة الصّافية لتفسير القرآن الكريم، ونصٌ صريحٌ فصيحٌ من النّبي (صلى الله عليه وسلم)، إقرارًا لهم بذلك.

5/ تعريف التّفسير اللّغوي:

ورد في تعريفه:" هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب"، فالشّق الأول من التّعريف وهو(بيان معاني القرآن)، فإنّه عامٌّ ، يشمل كلَّ مصادر البيان في التّفسير ،كالقرآن والسّنة، وأسباب النّزول وغيرها، ,وأمّا الشّق الثاني من التعريف:(وهو بما ورد في لغة العرب)، فإنّه قيدٌ واصفٌ لنوع البيان الذي وقع لتفسير القرآن وهو ما كان طريقُ بيانه عن لغة العرب، وبهذا النّوع من البيان ، يخرج ما عداه من أنواع البيان ،كالبيان الكائن بأسباب النّزول وقصص الآي ، أو غيرها ممّا ليس طريق معرفته اللّغة..."[2]

وقد حرص أهل الاختصاص على وضع ضوابط محدّدة للتفسير اللّغوي .

6/ ضوابط التّفسير اللّغوي:

للتفسير باللّغة ضوابط يجب على المفسّر التزامها، حتّى لا يحيد عن جادة الصّواب وقد حدّدها أهل العلم في النقاط التالية:

1.6 أن تكون اللّفظة المفسّرة صحيحة في اللّغة ، فلا يجوز تفسير القرآن بما لا يعرف في لغة العرب، ومثاله تفسير قوله تعالى : ↓□◆🕮□☼*❀ ■♑✍✌ ▯✎♐□♌⓿☒✃

✃☞☜♎✍♦✃◆☞✌ ♑✍❀✐ ↑ (البلد: 02)، بأنّه حالٌّ ومقيمٌ به ، وقال ابن عاشور أنّه حالٌ ، أي ساكن بهذا البلد .

[1] مساعد بن سليمان الطّيار، فصول في أصول التّفسير، دار النّشر الدّولي ، الرّياض ،ط1، 1413هـ، 1993م،ص41.

[2] **مساعد** بن سليمان الطّيار، التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي ، د.ط،د.**ت**، **ص38**.

2.6 أنّ تفسير القرآن يكون على الأغلب المعروف من لغة العرب دون الشاذ أو القليل ، ومثاله تفسير قوله تعالى :

(النبأ:24)، قيل : البرد : النوم، وهذا تفسير بالأقل ، إذْ الأغلب المعروف من البرد ، هو ما يبرد حر الجسم من الهواء.

3.6 أن يراعي المفسّر عند تفسيره للفظة السياق ، فلا يختار إلاّ ما يتناسب معه ، ولذا كان من أوجه رد أقوال بعض المفسرين ،عدم مناسبتها للسياق.

4.6 أن تُعرف ملابسات النّزول إذا احتاجها عند تفسير لفظة ما ،لكي يعرف المراد بها في الآية.

5.6 أن يُقدّم المعنى الشرعي على المعنى اللّغوي إذا تعارضا ،إلاّ إذا دلّ الدّليل على إرادة المعنى اللّغوي، لأنّ القرآن نزل لبيان الشّرع لا لبيان اللّغة ، فالصّلاة في قوله تعالى :

(التوبة:84) ، تحتمل الدّعاء ، وتحتمل صلاة الجنازة ، وهذا هو المقدّم لأنّه المعنى الشرعي، وفي قوله تعالى :

(التوبة:103)، فالصّلاة هنا الدّعاء، وهو المعنى اللّغوي.[1]

وانطلاقا من هذه الضوابط التي سطّرها العلماء ، يتبيّن لنا أنّ التّفسير على المعنى اللّغوي الظّاهر والمتداول من لغة العرب لا يكون ولا يرجّح إذا ثبت دليل من الأثر على خلاف معناه ، كما أنّه لا يعتدّ بالمعنى اللّغوي إذا خالف المعنى الشرعي، ولا يتأتّى ذلك إلا بمعرفة سياق الآية وسبب نزولها ، فالعلاقة بين اللّغة وعلوم القرآن متلازمة ،كما أنّ عملية التّفسير تتفاعل فيها عدّة جوانب وخلفيات معرفية تسهم في فهم البنية العميقة للنّص القرآني .

[1] ينظر : مساعد بن سليمان الطّيار، المرجع السّابق ، ص42 43.44.

وعلى ضوء ما أسلفنا ذكره تمثلت في أذهاننا صورة واضحة عن مدى أثر فروع اللّغة أو ما تسمّى بمستويات التّحليل اللّساني في تفسير وفهم آي وسور الذكر الحكيم وسنأتي على بيان ذلك بإيراد نماذج لذلك من أحد التفاسير التي استند صاحبها على اللغة في بيان دلالات النّص القرآني اعتمادًا على مستويات التّحليل اللّساني ، هذا التفسير هو للشيخ الطاهر ابن عاشور ، والمعنون بالتّحرير والتّنوير، وقبل ذلك لا بأس أن نقوم بدراسة نظرية لهذه المستويات ، ونتعرّف على مواقعها من علوم اللّغة.

الفصـــل الأول.

أثر المستوى الصّوتي في تفسير النّص القرآني.

1. المستوى الصّوتي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم .

2. نماذج لأثر المستوى الصّوتي في تفسير النّص القرآني (تفسير التّحرير والتّنوير لاطاهر ابن عاشور).

المبحث الأول: المستوى الصوتي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم.

عرف العرب ما للصّوت اللّغوي من وظيفة في معرفة معاني لغتهم، ولذلك كانوا شديدي العناية بهذا المبحث اللّغوي وقد بذلوا جهودا جبارة في سبيل إثرائه والاستفادة ممّا يقدمه هذا المستوى في مختلف الدّراسات، وقد كان للمشتغلين بالدّراسات القرآنية باعٌ عظيمٌ وحظٌ وافرٌ من هذه الجهود مستثمرين أهم النتائج التي توصلوا إليها في خدمة القرآن الكريم سواءً من ناحية أدائه أداءً صحيحا موافقا للُغة نزوله، أم من جهة تفسيره تفسيرًا لا يتنافى مع ما يوحي إليه من دلالات.

والصلة المباشرة بين اللّغة العربية والقرآن الكريم هي ما جعلت أهل اللّغة يتناولونها بشيء من الدّقة والتحرز، خشية تحريف جوهرها والإخلال بمعدنها. يقول حسام سعيد النعيمي: «لقد قدّر لهذه اللّغة أن تكون لغة آخر كتاب سماوي يخاطب أهل الأرض, فتناول علماء العربية لغة العرب بشيء كثير من الحيطة والتثبت لصلتها بالقرآن ،وكأن هذه اللّغة دين ينبغي أن يعرفوا من أين يأخذونه، فلقد كان المسموع عن العرب هو الأساس الأول الذي اعتمدوه في جمع اللّغة وتدوينها ولذلك وجدناهم يتحرجون كثيرا في أخذ اللغة، حتى قال قائلهم: فليتحر آخذ اللّغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة».[1]

وهذا يوحي إلينا بمدى شدّة عناية العرب في تلقي اللغة بجانب المشافهة، و بأنّ المسموع هو الأقوى والأولى بالأخذ من غيره لأنه لا يعتريه التصحيف ولا التحريف ولا السقط، وعلى ذلك سار علماء العربية في أخذهم للّغة في عصر الاحتجاج وما بعده.

وحديثنا عن المسموع هو إشارة إلى أصوات اللّغة، والتّطرق إلى هذه الأصوات يعدّ الركيزة الأساسية لمعرفتها، و يعدّ المستوى الصوتي أولى المستويات التي يجب أن نتناولها في فهم اللّغة، ولذلك يقول خليل إبراهيم العطية: «قد أدرك نحاة العرب قصور فهمهم نحْو العربية وصرفها، ما لم يدرسوا أصواتها

[1] حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، د.ط، 2010م، ص13.

فكانت عنايتهم بها شديدة... وإذا كان علم الأصوات في بدايته جزءًا من أجزاء النحو، فإنه سرعان ما انزوى عند أهل القراءات والتجويد، فقد زاد فيه هؤلاء كثيرا من المباحث المستوحاة من التنزيل العزيز».[1]

وفي ذلك نلمس مدى عناية دارسي القرآن الكريم ومفسريه بالجانب الصّوتي، وهذا يرجع إلى حرصهم على الأخذ بلغة القرآن صحيحةً سليمةً كما نزلت، بالإضافة إلى إدراكهم للعلاقة الوثيقة بين الأصوات ومعانيها الكامنة فيها، وهذه القضية الأخيرة هي التي أثارت اهتمام الدارسين من القدامى خصوصاً والمحدثين، وظلت هذه الز اوية الحساسة من البحث اللّساني محط أنظار أهل الإعجاز و البلاغيين للوصول إلى صميم الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

وقبل أن نخوض في مسألة أثر المستوى الصّوتي في تفسير النّص القرآني ارتأينا أن نقوم بدراسة موجزة عن هذا المستوى مبتدئين أولا بتعريف الصوت.

1/تعريف الصوت:

1.1.لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: «الصوت: الجرس، والجمع أصوات، قال ابن السّكيت: «الصوت صوت الإنسان، وغيره، والصّائت: الصائح، ورجل صيّت: شديد الصوت: عاليه، ويقال: أصات القوس: جعلها تصوّت، والصّيت: الذّكر، وحمار صاتٌ: شديد الصّوت، والعرب تقول: أسمع صوتا وأرى فوتًا، أي أسمع صوتا ولا أرى فعلا».[2]

وجاء في معجم العين: «صوّت فلانٌ تصويتاً، دعاه، وصات يصوت صوتاً، فهو صائت: بمعنى صائح، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات».[3]

[1] ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، دط، 1983م، ص 04-05.

[2] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المرجع السّابق ،ج2، ص 57.

[3] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تعليق: مهدي المخزومي و إبراهيم السمرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت، ص 146.

2.1 إصطلاحا: لقد عرّف علم الأصوات أنّه: «العلم الذي يدرس الصّوت الإنساني من وجهة نظر اللّغوية، وقد عدّ هذا اللّون من الدّرس (علمًا)، لتميُّزِهِ عن غيره من فروع الدّراسات اللغوية من حيث موضوعه، ومنهجه وأهدافه و(دراسة الصّوت الإنساني)، تخرج دراسة أي صوت آخر غير صوت الإنسان...و(من وجهة النّظر اللغويّة)، تعني دراسة الصوت الإنساني الذي يدخل في دائرة النظام اللّغوي، فالأصوات التي يصدرها الإنسان كثيرة ومتعددة قد يحتمل بعضها دلالات معينة ولكنّها لا تدخل في دائرة نظام لغوي معيّن، مثل: الانفعالات والآلام».[1]

فالمستوى الصّوتي هو علم خاص مستقل يبحث في الأصوات ذات النظام اللّغوي والتي تحمل في كيانها رموزا وعلامات دالة .

2/الطبيعة الصوتية للقرآن الكريم:

لقد اتّسم القرآن منذ نزوله بطبيعته الصّوتية، وهو لم ينزل مدونًا في صحيفة أو كتاب وذلك لقوله تعالى:↓ ✂⌀❁⊙✡♦✍ •☒♦▫ ☙①➔❧✈❷⬂◑⬉☪⌂ↀ ↑ (الأعلى: 06) وقال أيضا : ↓ •✍⌂↗⬀➔♦✌☊♔ ⌂⌨♦☼✐❁○☊♔ ⌚☊○✈✉ ⬁✇✂⌘❷□♦↑✎ •♦ ①←○⌂➔⬃✆♦♎ ✐♦☪⬂⑩■◙♦⬉ □♌✈◑ ⬖⬗☊⬘ ⊞⌚☊○✈✉ ←○⌚♦☼▫🕮♦❷♦♔ ✂♦❶✈✉♦▫ ⬖⬗✂⬘ ①←○♦☼✂♦↗⬀❷➔♔♦□ ▫♦✐✐✐✍□⌨✈↗⇳ ♔➔❷⬀↗♦✂☼♦○←① ↑ (القيامة:18،16) ، وغير ذلك من الأدلة التي تدل على أن تلقي القرآن كان مشافهة، كما أن تبليغه أيضا كان تبليغا صوتيا شفهيا إلى الصحابة، ثم إلى كافة الناس، فقد تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة صوتية وتلقوه منه بأسماعهم، وحفظوه في صدورهم.[2]

فهذه البنية الصوتية التي يمتلكها النّص القرآني هي ما جعلته يحتوي ويمتلك أبعادا دالة ومعبرة فلم توضع ألفاظه صدفة أو بطريقة عشوائية، بل امتلكت خصائص لا يمكن أن تكون في غيرها، وهذا

---

[1] عبد العزيز علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، بيروت، دط، 1430هـ/2009م، ص 19.

[2] ينظر: أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية،عالم الكتب الحديث،الأردن، ج1، دط، 2012،ص 176.

من تمام إعجازه وبديع بيانه الذي لا يمكن أن يوجد في غيره من كلام أبلغ البشر وأفصحهم، ولو اجتمعوا له فقد أبهر عقول العرب ووقع في أنفسهم موقعاً عظيما متحديا إياهم في أسمى ما يتقنون ويمارون فيه ويتفاخرون أي في لغتهم، وفي هذا الصّدد يقول مصطفى صادق الرافعي: «فلما قُرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جمله ألحانا لغوية، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم».[1]

فتلك الأصوات المتراصفة في انسجام وتلاؤم، والمتماسكة فيما بينها تحت بنية واحدة، والبعيدة عن كل مظاهر التنافر والتفكك لهي شاهد على تفرده بنظام صوتي له أثر بالغ في النّفس البشرية السّوية، فلا يَملك من سَمعه بأذنه وقلبه إلا أن يذعن له و يعترف بصدقه، وقد ذكر الرافعي في موضع آخر ما يؤيد ذلك، حيث يقول: «وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت...، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه...»[2]

فتنوع وجوه الأداء الصوتي يضفي دلالات متعددة في المعنى العام، ويقول أيضا: «وهذه هي طريقة الاستهواء الصّوتي في اللغة، وأثرها طبيعي في كلّ نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه، وكلّ نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النّفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضربا من الكلام البليغ الذي يُطمع فيه أو في أكثره».[3]

[1] مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ/1973م، ص 214.

[2] المرجع نفسه، ص 215.

[3] المرجع نفسه: ص 217.

إن هذا التّميز الصوتي الذي يتصف به القرآن الكريم، يجعلنا نعيد النظر في كيفية فهمه بطريقة لا مجال للريبة والتناقض فيها، ذلك أنّه من الضروري، أن نكون على دراية ويقين تامين أن تلك الأصوات التي تتركب منها ألفاظه وآياته وسوره تؤدي دورا كبيرا في معرفة معانيه، ومن ثَم فإن للمستوى الصوتي أثرا بالغا في تفسير القرآن العظيم، فدراسة الأصوات وما ترمي إليه من دلالات لا بدّ منها في فهم أيّة لغة، فكيف إذا تعلق الأمر بلغة كلام ربّ البرّية المعجز بأصواته ومقاطعه.

ولذلك يقول محمود السعران: «لا يمكن الأخذ بدراسة لغة ما أو لهجة ما دراسة علمية، ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصّوتية، فالكلام أولا وقبل كلّ شيء سلسلة من الأصوات، فلا بدّ من البدء بالوصف الصّوتي للقطع الصغيرة، أو للعناصر الصّغيرة...، فمن المحال إذن دراسة بنية الكلمة دون التحقيق الصّوتي للعناصر المكونّة للكلمات...،، والدراسة الدلالية؛ أي دراسة المعنى لا يمكن أن تمر ما لم يرتكز على دراسة الصور الصوتية والتنغيمية».[1]

هذه المنهجية العلمية المتّبعة في وصف النّظام اللّغوي عمومًا، هي ما جعلت الدّراسات اللّغوية أو اللّسانية الحديثة تنظر إلى النّص القرآني باعتباره مرجعًا لسانياً مقسمة إياه إلى قسمين من خلال علاقته بالتحليل العلمي الحديث:1/ مرجع لساني صوتي وظيفي، 2/ومرجع لساني صرفي.

أمّا كونه مرجعًا لسانيًا صوتيًا وظيفيًا؛ وذلك لأنه يقوم على إدماج الأصوات العربية، وتركيبها لتكوين الكلمات القرآنية، ممّا يخلق نسقًا صوتيًا متلائمًا متناغمًا، يظهر أثناء الترتيل أو التجويد من خلال عدة ظواهر مثل: النّبر، المقطع، التنغيم، التفخيم، الإمالة، لذلك فإن المرجع الصّوتي الوظيفي الكامن في القرآن يُبرز السّمات المميّزة لكلّ وحدة صوتية تدخل في اتساق وانسجام كلمات التنزيل.[2]

[1] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط، ص 123.

[2] ينظر: عبد الجليل غزالة، اللسانيات والإسلام والثقافة العربية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجماهرية الليبية، دط، 2009، ص 53.

فهذه العلاقة الكامنة بين أصوات اللّغة المفردة والكلمات المكونة منها ودلالتها، هي ما جعلت المفسرين يعتمدون وينطلقون في تفسيرهم للقرآن الكريم من مستواه الصوتي المكوّن للغته، والذي يعتبر بمثابة البُنية التحتية التي تؤسَس عليها أيةُ لغة ،والبدء من هذه البُنية كفيلٌ بفهم تلك اللغة، وإنّ الحديث عن مدى اهتمام المفسرين بالجانب الصّوتي، والذي يعتبر من أهم فروع اللّغة للوصول إلى فهم معاني القرآن الكريم، يُحيلنا إلى تفطنهم قبل مئات السّنين لأحدث ما توصلت إليه الأبحاث لدراسة اللّغة في العصر الحالي، عندما قسمها العلماء إلى مستويات محدّدة، ولكلٍّ منها وظائف مخصوصة تهدف إلى فهم رموز اللّغة الإنسانية، وهي ما اصطلح على تسميتها بمستويات التحليل اللّساني، والتي يعتبر الجانب الصوتي (المستوى الصّوتي)، من أهم فروعها ، كيف لا وهي الرّكيزة واللّبنة التي تبنى عليها بقية المستويات.

3/فروع علم الأصوات :

يمكننا إجمال ما يمكن ذكره عن فروع هذا المستوى فيما لخّصه محمد محمد يونس علي حين قال: «علم الأصوات(Phonetics) يدرس الأصوات الكلامية وتصنيفاتها من النواحي الآتية:

أ. إحداث الصّوت من حيث نطقه والاستعدادات والقدرات الجينية الوراثية التي تؤهل الإنسان لنطق أصوات الكلام، ويتناول هذا الجانب علم الأصوات النطقي (articulatory phonetics).

ب. بنية الأصوات، وهي في طريقها إلى أذن السّامع، والجوانب السّمعية المتعلقة بذلك، ويتناول هذا الجانب علم الأصوات السمعي(acoustic phonetics).

ج. العمليات النّفسية العصبية التي لها صلة بإدراك الأصوات، ويدرس هذا المجال علم الأصوات العصبي (neurological phonetics).»[1]

[1] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات (النشأة)، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2004، ص 16.

كما أضاف الباحث إلى علم الأصوات العام الذي ذكره سابقا علم الصياتة فقال: « علم الصياتق (phonology): يهتم هذا العلم بالأصوات الكلامية ذات الصلة بالدلالة، تلك المسمّاة بالصّيتات (phonemes)، وتنوعاتها الصوتية(allophones) في لغة ما، وخصائصها، وأنظمتها، والقواعد الصياتية التي تحكمها».[1]

وهذا التقسيم هو ما ذهب إليه أغلب علماء الأصوات، وإلى ذلك أشار ماريو باي حين قال:«يشمل علم الأصوات نوعين هما (علم الأصوات المجرد (phonetics))، وعلم الأصوات الوظيفي (phonology)، أما أولاهما: فهو العلم الذي يدرس ويحلّل الأصوات الكلامية من غير الإشارة إلى التّطور الخارجي، وإنما يكتفي بالإشارة إلى كيفية إنتاجها وانتقالها واستقبالها.. وثانيهما: تصنيف الأصوات على أساس من إحساس المتكلمين باللّغة واعتبارها عددا من الأصوات صوتًا واحدًا أو أصوات متعددة».[2]

ممّا سبق يمكننا أن نميّز بوضوح بين قسمين لعلم الأصوات: علم الأصوات العام، وعلم الأصوات الوظيفي، وكلاَ المجالين يهدف في النهاية إلى دراسة الصّوت اللّغوي انطلاقا من نطقه وانتقاله والتقاطه بأذن السامع، وكيفية تلقيه وإدراكه، وصولاً إلى فهم دلالاته ومعانيه، فهناك تداخل جليٌ بين الفرعين.

4/وظائف الصّوت اللّغوي:

إنّ أكثر ما يثيرنا في هذا المبحث هو معرفة وظيفة الصّوت الذي يؤدي تغيره إلى تغير المعنى، وقد تحدّث عن هذه القضية عبد الفتاح عبد العليم البركاوي حين أشار إلى أن علماء الأصوات يذكرون

[1] المرجع السّابق ، ص 17.

[2] ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1419هـ/1998م، ص 43-48.

أن للوحدة الصّوتية بعض الوظائف في اللّغة، ونعني بالوحدة الصّوتية: كل عنصر صوتي متميز يترتب على تغييره تغيير المعنى، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها الوحدة الصوتية:

1. **الوظيفة البنائية:** وهي أن تحمل الوحدة الصوتية مع غيرها من الوحدات المعنى المعجمي للكلمة.
2. **الوظيفة التصريفية:** وذلك كدلالة الهمزة في صيغة (أفعل) على التعدية.
3. **الوظيفة التحسينية:** وتقوم بهذه الوظيفة إضافة إلى الوظيفتين السابقتين قصد تحقيق الانسجام الصّوتي كما في «اصطبر».

4. **الوظيفة التعبيرية:** يراد بها إشارة الوحدة الصّوتية إلى درجة المعنى من حيث القوة والضعف، كما في «خضم» و«قضم»، حيث يشير الخاء إلى ضعف المعنى وتشير القاف إلى قوته.[1]

كل هذه الوظائف التي أشرنا إليها تتعلق بالصوامت أي حروف المعجم الصّامتة، وهنالك وظائف أخرى تتشكل عند اجتماع الأصوات بالصّوائت، أي باقتران العلل والسواكن ، حيث تشارك الوحدات الصوتية الصّائتة الصّوامت في هذه الوظائف وذلك مثل: دلالة الكسرة في «الحِجر» على اختلاف المعنى المعجمي إذا قورنت بالفتحة في «الحَجر»، ومثال الوظيفة التصريفية دلالة الضمة على البناء للمجهول في «فُهم» إذا قورنت بـ«فَهم»، أما في الوظيفة الثالثة «التحسينية» فمثالها إبدال الفتحة ضمة في كلمة «سَكارى» وأما الوظيفة الأخيرة، مثل دلالة الكسرة على الرّقة ودلالة الضمة على القوة".[2]

فكما ظهر لنا أن لكلّ حرف صائت أو صامت وظيفة محددة، فهذا يعني أن لكل منها قيمة موحية ومعبرة عن دلالة معيّنة في تركيبها مع الأخرى، هذه القيمة هي التي تعطي معنى جديدا كلّما

[1] ينظر: عبد الفتاح عبد الحليم البركاوي، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ط1، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص 180.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 181.

تغيّر الصّوت وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى اكتساب الكلمة مدلولات متعددة بحسب تركيب مادتها الصّوتية، وفي هذا الصّدد يقول صبحي الصالح: «أما الذي نريد الآن بيانه هو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية إذ لم يعنيهم من كل حرف أنّه صوت وإنما عناهم من كل صوت هذا الحرف أنه معبّر عن غرض، وأنّ الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصّوتية التي يمكن حلُّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدّوال المعبّرة، فكلّ حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معيّن، وكلّ حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكلّ حرف صدى وإيقاع».[1]

فهو يشير بكلامه أنّ لكلّ حرفٍ خاصية مستقلة لا يمكن أن تتوفر في آخر ، أو يتميّز بها غيره حتّى لو شابهه في المخرج أو الصّفة.

يقول محمد داوود:" ويقصد بإيحاء الصّوت بالمعنى أن يوحي جرس أصوات الكلمة بمعناها الذي نسب لها في المعجم ، فيلتقي الجرس والعزف عندئذٍ لا على مصادفة ومحض اتّفاق، ولكن انتقاء اللّفظ يكون عن تعمد وحسن اختيار، وإنّ من بلاغة القرآن وتفرّده الرّائع في الدّلالة ارتباط الصّوت بمعانيه ارتباطًا وثيقًا ، وقد تأكّد لعلماء العربية أنّ الجانب الصّوتي ركن أساس في بناء التعبير القرآني في مواضع عدّة من التنزيل"[2]

ومسألة مناسبة الحروف لمعانيها، قد أشرنا إليها سابقا أنّها قد لاقت ترحيبا واسعا من قِبل اللّغويين قديما وحديثا، وحاولوا إحاطتها بقدر كبير من الدّراسة والبحث للوصول إلى أسرار هذه الملاءمة بين الأصوات وما توحي إليه من دلالات، وقد أشار الصّالح سليم الفاخري إلى ذلك بقوله: «لقد لقي موضوع مناسبة الأصوات المسموعة لمعانيها القبول من قبل عدد كبير من العلماء والفلاسفة في القديم والحديث... ويقوم هذا الموضوع بأكمل صوره على أنّ هنالك مناسبة بين الصّوت والمعنى، أي أنّ

[1] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص 142.

[2] محمد محمد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار جاد للنشر والتوزيع ،ط1، 1432هـ، 2011م، ص72.

كلّ صوت من الأصوات الهجائية يناسب حالة من الحالات لا يكاد يخالفها في شيء وإن خالفها فمرجع ذلك عوامل التّطور المختلفة التي تعتري اللغات، وقد وجد لغويو العربية فيها وهم يتفحصونها عدّة خصائص لا توجد في كثير من اللّغات، ومن ذلك ظاهرة الإعراب واستيعاب الأصوات في جملة الجهاز المعروف بجهاز النطق إذ أن الأصوات موزعة عليه وفق نظام غاية في الإحكام، كما أنّهم التفتوا إلى الأصوات اللّغوية يلتمسون الصلة بينها وبين معانيها...».[1]

ولقد كان أبو الفتح ابن جني (392هـ) من أبرز اللّغويين الذين خَصوا هذه المسألة بشيء من التفصيل في كتابه الخصائص في عدة فصول من مصنفه المذكور ومنه: (باب من تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني)، حيث يقول فيه: «وهذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللّغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه».[2]

فهو يرى أن ثمة صلة طبيعية بين اللّفظ ودلالته، وقد مثّل لذلك بأمثلة كثيرة فنذكر منها على سبيل المثال قوله: «ومن ذلك قولهم، الفضة سميت بذلك لانفضاض أجزائها، وتفرقها في تراب معدنها، كذا أصلها وإن كانت فيما بعد قد تُصفّى وتهذب وتُسبك، وقيل لها فضّة، كما قيل لها لُجين وذلك أنّها ما دامت في تراب معدنها فهي ملتزقة (في التراب)، متلجنة به...».[3]

فكلّ مادة صوتية تتألف منها الكلمة تدل على معنى مرتبط بتلك اللّفظة ذاتها، وقد تكسب خاصية من خصائص كلمة أخرى تقاربها في المبنى العام، كما ظهر تأثر ابن جني بفكرة مفادها أن المعاني المتقاربة تحتاج إلى أصوات متقاربة للتعبير عنها، وقد أشار إلى ذلك في فصل سماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»، ومثل ذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ⬇ ❏⬧ ⇔ ⬧❷

[1] ينظر: صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، دط، دت، ص 144.

[2] أبو الفتح ابن الجني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،(المكتبة العلمية)، مصر، ج2، دط، دت، ص 113.

[3] ابن جني، المرجع نفسه، ص 123.

فقال: «أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللفظين لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا في هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النّفوس من الهز لأنّك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك».[1]

كما ساق بعض الألفاظ يظهر فيها تصاقب اللّفظين لتصاقب المعنيين من مثل: عسف وأسف فقال: «الأسف يعسف النفس وينال منها والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النّفس أغلظ من التردد بالعسف».[2]

وزاد في ابن جني في تفصيله لدلالة الأصوات وما يشاكلها من ألفاظ فقال: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع...، وذلك أنه كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبرة عنها، فيعدّلونها ويحتذون عليها...، ومن ذلك قولهم: خضِم وقضِم، فالخضِم لأكل الرّطب كالبطيخ والقثاء ....والقضم للصّلب اليابس نحو: قضمت الدّابة شعيرها ونحو ذلك».[3]

وجاء ذلك في الباب الذي سماه «إمساس الألفاظ أشباه المعاني»، فكل هذه المحطات التي مرّ بها ابن جني في دراسته للصّوت اللّغوي تنمّ عن مدى إدراكه للعلاقة الطبيعية بين الأصوات اللغوية ومعانيها، كما توحي عن مدى تنبّهه لأهمية تلك الأصوات في تفسير اللّغة، وهذا يؤيده تعريفه للّغة من أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

---

[1] أبو الفتح ابن الجني، الخصائص ،المرجع السّابق ، ص 146.

[2] المرجع نفسه، ص 147.

[3] المرجع نفسه:ص157.

5/ دلالة الصوت اللغوي في القرآن الكريم

تفرّد القرآن العظيم بلغته التي تميزه عن باقي الأجناس الأخرى كالشعر والنثر وغيرها حتّى وإن كانت من جنس اللغة العربية، فاجتمعت له جميع وجوه الإعجاز التي أظهرت بلاغته وبيانه، وبما أن مادته الأولى هي الأصوات شأن لغته كشأن جميع اللّغات، فإن أصواته اكتسبت دلالة أو بعدا دلاليا واضحاً، فكل صوت يتناسب مع موقف معيّن لا يمكن استبداله بآخر.

يقول حسين الصّغير:" انصبت عناية القرآن الكريم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب وتوهج العبارة في منظار حياتهم ، وحدب البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللّفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه ، وتعادل الوحدات الصّوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات ، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات ، فاختار لكلّ حالة مرادة ألفاظها الخاصّة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها ، فجاء كلّ لفظ متناسبًا مع صورته الذهنية من وجه ، ومع دلالته السّمعية من وجه آخر ، فالذي يستلذه السّمع، وتستسيغه النّفس ، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقق في العذوبة والرّقة..."[1]

وتمتلك الأصوات في القرآن الكريم دلالتها في حالة إفرادها وكذا في حالة تركيبها، وإنّ التّنوع في دلالة الأصوات قد تنبّه له علماؤنا المهتمون بالدّراسات القرآنية ، وخاصة المفسّرين ، فحاولوا إحصاء مختلف المعاني التي توحي بها إلينا أصوات النّص القرآني ، للوصول إلى تفسيره تفسيرًا صحيحًا يتناسب مع السّياق الصّوتي التي ورد فيه ، وكذا لأجل الكشف عن مظاهر إعجازه، فلكلّ صوت وظيفة يؤديها مرجعها إلى خاصية من خصائصه أو صفة من صفاته التي تميّزه، ولذلك يقول محمد محمد داوود:" فحين يُريد القرآن أن ينقل للنّاس صورة النّار على جهة التّخويف ، والإنذار ، وهي مهتاجة ،مغتاظة ، غاضبة ، يختار الحروف الهادية إلى هذه المعاني التي تصوّر بجرسها هذا العنف ، وذلك الغضب ، فالصّورة الصّوتية للحرف تشكّل المادة الأولى للقيم الخلافية..."[2]

[1] محمد حسين الصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ص163.

[2] محمد محمد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم،المرجع السّابق ص73.

فكلّ صوت وُضع في المقام المعيّن الذي يُناسبه ، والذي لا يجوز استبداله بغيره ، وإلاّ لضعف المعنى وفسد ، وفقد قوّته التي تكسبه إعجازه، وقد أدرك المفسّرون هذه الحقيقة وسعوا إلى البحث عن الدّلالات الكامنة وراء الأصوات مفردة كانت أم مركبة ، بُغية الوصول إلى معاني النصوص القرآنية.

المبحث الثاني: نماذج لأثر المستوى الصّوتي في تفسير النّص القرآني (تفسير التحرير والتنوير):

إنّ اطّلاعنا على تفسير التّحرير والتّنوير لصاحبه الإمام المفسّر الشيخ الطّاهر ابن عاشور، جعلنا نلمس مدى عناية هذا المفسّر بعلوم اللّغة في معرفة معاني القرآن العظيم وتفسيرها ، ومن ذلك أنّه أولى عناية بالجانب الصّوتي للّغة ، بُغية الوصول إلى مدلولات آي القرآن الكريم ، ولنا في هذه النّماذج مثالٌ واضحٌ على عمله ، ومن ذلك:

1/دلالة محاكاة الأصوات:

2.1 في قوله تعالى: ⬀⬇ ▫⧫⌧• ✍⧫◑➔✎ ▭⌗●⇦☺⌧✍✏ 🕮⬆✍♏⌨ ❒◆••
✍⧫❁⬀&❒❷⬀♎➔☺⌧✍ ❒◆🔔➔✎ ✍⍝⅄♑⇦☺⌧✍ 🔔⧫❒⬀☪ 🗎•❷⌘③☺✝✍
⬀⌘⌘⬆ ⬆ (الإسراء: 23)، فقد فسّر ابن عاشور هذه الكلمة (أفٍّ) بما توحي إليه من دلالة صوتية ، فقال: "أفٍّ : اسم فعل مضارع ، معناه : أتضجّر ...وليس المقصود من النّهي أن يقول لهما(أفٍّ) خاصة، وإنّما المقصود النّهي عن الأذى باللّسان بأوجز كلمة ، وبأنّها غير دالة على أكثر من حصول الضّجر لقائلها دون شتم أو ذم، فيُفهم منه النّهي ممّا هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى."[1]

فهذه اللّفظة المركّبة من مادتها الصّوتية (الهمزة والفاء المشدّدة) ، تدلّ في عمومها عن الصّوت الذي يصدر من الإنسان في حال تضجّره و استيائه من أمر ما ، و(أفٍّ) تعبّر عن حال ة الشّخص المتسخّطة ، والكارهة لوضع معيّن ، وهي الحالة التي لا يُرضى أن تكون اتّجاه الوالدين، إذْ الواجب عدم إيذائهما ولو بكلمة، فكيف يكون الحال إذا كان الإيذاء باليد أو غيرها ، ولذلك استعان ابن عاشور على دلالة كلمة (أفٍّ) في الواقع المتبوعة بصوت التأفف ، فحاكى صوت الكلمة مبناها، وذلك بغية الوصول إلى المعنى المقصود في الآية.

[1] الطّاهر ابن عاشور،تفسير التّحرير والتّنوير،الدّار التّونسية، تونس، ج15،دط، 1984م ،ص 70.

2.1 في قوله تعالى: ↓ 🕮❒♐︎⧫⬄•⬧⧫❷⬥⧫ 🕮❒☼✵ ✍ 🕮❒❻⬀⬃ ◆ ♦×⇦☞❷♑▦➀•▤♒ ❼■✍⧫⇖ ♦×✓♑➲➀◆⑩⊙ ✍••➔⬝ ↑ (مريم:83)، قال ابن عاشور في تفسيره للآية :

" والأزّ: الهزّ والاستفزاز الباطني ،مأخوذ من أزيز القدر إذا اشتدّ غليانها ، شبّه اضطراب اعتقادهم، وتناقض أقوالهم واختلاف أكاذيبهم بالغليان في صعودٍ وانخفاضٍ وفرقعة وسكونٍ".[1]

في هذه الآية الكريمة أيضًا لم يبتعد ابن عاشور عن واقعه وعن طبيعة ما يُحيط به ، وعن مناسبة الألفاظ لمعانيها في تفسير الصّوتي لكلمة (الأزّ) التي تُقارب في معناها ومبناها كلمة(الهزّ)، غير أنّ الأولى أقوى من الثانية في دلالتها ، كما ذكر ابن جني في باب(تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، وابن عاشور يرى أنّ في اختيار هذه اللّفظة أقرب للتّعبير عن حال الكافرين في تذبذبهم وشدّة اضطرابهم وعدم ثبوتهم على موقف واحد، وابتعادهم عن الحقّ ، وهذه الأعراض التي تحدث في داخلهم شبيهة بما يحدث داخل القدر ، فيُسمع له أزيز يعبّر عم ما يدور في عقره ، وهذا الاستدلال في تفسيره للآية كان نتيجة الأثر الذي أضفاه الجانب الصّوتي على المعنى العام.

2/ دلالة التكرار:

1.2 في قوله تعالى : ↓ ☎✁❒🡄⧖⬂▤⬀⧖⬈▤⬧▫ ♑▫❸♑❒ ⬀⬝➔⎐ ❒⧫✁⬄♒⬧⧫❒⬃ ⬌⬅◆ ↑ (**الشعراء: 94**)، يقول ابن عاشور:" فكبكبوا : أي كبكبت الأصنام في جهنّم، ومعنى كبكبوا : كُبُّوا فيها كبًّا بعد كبٍّ ، فإنّ كبكبوا مضاعف : كُبّوا بالتكرير، وتكرير اللّفظ يُفيد تكرير المعنى، مثل :كفكف الدّمع ، ونظيره في الأسماء: جيش لملم، أي كثير ، مبالغة في اللّم ، وذلك لأنّ له فعلاً مُرادفًا له مشتملاً على حروفه ولا تضعيف فيه،

[1] ابن عاشور، التحرير والتّنوير، ج16، ص83.

فكان التّضعيف في مُرادفه لأجل الدّلالة على الزّيادة في معنى الفعل." [1] فتكرير المادّة الصّوتية للفعل(كبّ)، أضافت له معنى زائدًا عن معناه الأصلي ، وأصبح : (كبكب)، فدلّ بذلك على تكرير الفعل ومعاودته أكثر من مرة ، كما أفاد استمراريته وديمومته ، وهكذا كان حال أهل النّار فيها: خلود في أصقاعها وعذاب فوق العذاب.

2.2 ومن ذلك قوله تعالى: ↓ ▫◆⑨⍓⑨⍌✎⍓⑨⍓⊠◆♦ ⬊♦■⑩⍌♑♒⍐⬄ ⑥◆▰✇♑←🏱 ⍓🙵♑✿⍐⍍♒⍐⑧⑨⌻⍍▫⍕⬡◆⍓⬠▣ ◆⍓⊠⍌✇ ↑ (الشّمس: 14)، يقول ابن عاشور في تفسيرها :"أي صاح عليهم صيحة غضب ، والمراد بهذه الدّمدمةً صوت الصّاعقة والرّجفة التي أهلكوا بها ، قال تعالى: ↓ ▫◆⍓▭❀◆⓪⊠☜⍌&⬋⍒⬉ ✁✇⍐⍌⓪⑩⍌◆⍓▭➔ ↑ (الحجر: 73)، وإسناد ذلك إلى الله عزّ وجلّ مجاز عقلي لأنّ الله هو خالق الصّيحة، وكيفياتها ، ووزن (دمدم): فعْلل ، وقال أكثر المفسّرين : دمدم عليهم، مكرّر (دمّم) عليه القبر، إذا أطبقه ودمدم مكرّر (دمّ) للمبالغة ، مثل : (كبكب)، وعليه ، فوزن دمدم ، فعْلل". [2]

وتكرير الفعل في هذا الموضع أفاد الشدّة والمبالغة ومضاعفة الواقعة حتّى تصل إلى درجة الصّاعقة ، فمعاودة الفعل أدّت إلى معاودة الحدث وقوّته ، ومن ثمّ كان وقعه على النّفوس أشد وأثره على القلوب أبيْن ، فصوت (دمدم) ، يوحي إلى قوة الفعل وعظمه، فإن كانت (دمدم) تعني صاح ، فهو صياح ليس كأي صياح ، وإن جاءت بمعنى أطبق ، فهو إطباق ليس كأي إطباق ، وكلاهما ناتج عن غضب وسخط وعذاب.

2.3قوله تعالى: ↓ ⬉◆⑩⍌☪✡✍ ▫⍓③&□✍ ➢➔○✽☺●⑥▤ ⍓⍐■▫○✽⑧♑⓪⊠⌖ ↑ (الإنسان،18)، فسّر ابن عاشور لفظة (سلسبيلا) ، بقوله:" السلسبيل :

[1] المرجع نفسه: ج19، ص192.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص375.

وصف قيل مشتق من السلاسة ، وهي السهولة واللّين، فيُقال: ماء سلس، أي : عذب بارد ، قيل: زيدت فيه الباء والياء، قال أبو العلاء : السلسبيل : الماء سهل المساغ ، وعندي أنّ هذا الوصف رُكّب من مادتي السّلاسة ، والسّبالة ، وقد ركبت من كلمتي السلاسة والسّبيل ، لإرادة سهولة شربه ، ووفرة جريه، وهذا من الاشتقاق الأكبر ، وليس باشتقاق تصريفي."[1]

في هذه الآية أيضًا يستعين ابن عاشور بالمستوى الصّوتي والبُنية الصّوتية للمفردة، للوصول إلى معناها ، ومن ثمّ تفسير الآية القرآنية بما لا يتنافى مع مدلولها المقصود ، فقد جزّأ لفظة (سلسبيل) إلى أصغر وحدات صوتية دالة، وهي (سلس) و(سبيل) ، ووجد أنّها تعني: الماء السلس في الذي يسلك سبيلاً في جريه ، وهو ماء عذب غير منقطع سميت به عينًا في الجنّة ، وأشار إلى أنّ هذا من الاشتقاق الأكبر الذي تحدّث عنه ابن جني وغيره في الدّرس الصّوتي ، وقد أفاد هذا البحث كثيرًا في هذا الموضع لمعرفة المعنى المراد من الآية.

3/ دلالة الأصوات على معانيها:

1.3 قوله تعالى : ↓ ▫⬥⌧❶✂ ♊⍓◻⍝🖉➚⬥☠⧱ ✂♑♐⏲❍♐🖉⌘☐☐➔ ⬲▩⬳ ↑ (عبس: 33)، يقول ابن عاشور :"الصّاخة: صيحة شديدة ، من صيحات الإنسان تصخّ الأسماع ، أي تصمّها ، يُقال: صخّ ، يصخّ ، ومضارعه يصخّ بضمّ عينه في الحالين ...فالصّاخة صارت في القرآن علمًا بالغلبة على حادثة يوم القيامة وانتهاء هذا العالم ، و تحصل صيحات منها أصوات تزلزل الأرض واصطدام بعض الكواكب بالأرض ، ونفخة الصّور التي تبعث عندها النّاس."[2]

[1] المرجع نفسه، ج23، ص396.

[2] المرجعالسّابق، ج30، ص135.

استخلص ابن عاشور من خلال تحليله للمادّة الصّوتية لكلمة(الصّاخة) أنّها مأخوذة من (صخّ) ، وسميت بذلك لأنّها تصخّ الآذان ، وتصمّها لشدة الأصوات التي تصدر إذا قامت، وهي أحداث تصاحب قيام السّاعة، ولذلك سميّت السّاعة أو يوم القيامة بالصّاخة.

2.3 قوله تعالى: ↓ ❏◆✈✂︎✍︎♒︎⚆✆❍✆✷▦⊙✆✶☙ ⊕✺▦◰✍︎ ✐✍︎✎︎ ↑ (الصّافات:01)، فسّر ابن عاشور الصّافات بقوله: "جمع: صافّة ، وهي الطّائفة المصطف بعضها مع بعض، يُقال: صفّ الأمير الجيش ، إذا جعله صفًّا واحدًا أو صفوفًا ،فاصطفوا ، ويُقال: فصفّوا ، أي صاروا مصطفين ، ووصف الملائكة بهذا الوصف يجوز أن يكون على حقيقته ، فتكون الملائكة في العالم العلوي مصطفة صفوفًا ، وهي صفوف متقدّم بعضها على بعض باعتبار مراتب الملائكة في الفضل والقُرب ، ويجوز أن يكون كناية عن الاستعداد لامتثال ما يُلقى عليهم من أمر الله تعالى، ويجوز أن يكون حكاية عنهم في هذه السّورة : ↓ ❏◆⊙✇✿✶✍︎ ♒︎⬩☪︎⬩◆⬄⬩♊︎⬅︎ ✂︎✍︎♒︎⚆❍✍︎✏︎◻︎♐︎❏♌︎♦ ↑ (الصّافات:165)."[1]

فلفظة (الصّافات) صوتيًا ، تعبّر عن إذعان الملائكة وانقيادهم المطلق لله عزّ وجل في كلّ أمر حال والملائكة على أهبة وتهيئ واستعداد دائمين لتنفيذ أمر الله عزّ وجلّ،وإذا ما قورنت كلمة (الصّافون) ب(المصطفون) ، نجد أنّ الأُولى أقوى في دلالتها الصّوتية للتّعبير عن الحضور المستمر للملائكة ، وهذا ما أراد ابن عاشور الوصول إليه من خلال تفسيره للآية الكريمة ، اعتمادًا على الدّلالة الصّوتية للفظة (الصّافات).

4/ دلالة العدول الصّوتي بالزّيادة:

1.4 قوله تعالى: ↓ ⬦︎⧫︎❏✌︎❏✍︎ ✌︎◆♊︎⇧ 🕮︎↑❏✌︎❍⑥♈︎ ✍︎✐✌︎◆✆⌨︎◆❍⬅︎✆
✍︎◆❍☺︎✐⑩✡︎✐❍✐✆ ⬦︎⓿◆◆➁→❏✌︎⬉ ⚠︎✍︎✏︎◆↗︎⚐︎⬉
✂︎✍︎♎︎♎︎⬉◆↗︎↓❏✂︎☎︎ ✍︎✐☜︎◆✆⌛︎✍︎⓿◆❍⬃︎ ✎︎✌︎✐✍︎ ✆✍︎❄︎❏✍︎❼
↑ ✎︎✆✇✍︎ ⬃︎❍◆⓿✍︎✆✍︎❄︎❍✐❍ ✌︎⚐︎■︎✆⌧︎✍︎ ❼✍︎❏❄︎❏🕮︎ →✴︎✡︎◆☪︎⬩⬅︎

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23 ، ص84 .

(الحاقة: 19.20) ، يقول ابن عاشور في تفسيره: "حقّ هذه الهاء أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل ، وقد أثبتت في هذه الآية في الحالين عند جمهور القُرّاء ، وكتبت في المصاحف ، فعلم أنّها للتّعبير عن الكلام المحكي بلغة ذلك القائل بما يُرادفه في الاستعمال العربي ، لأنّ الاستعمال أن يأتي القائل بهذه الهاء بالوقف على كلتا الجملتين ، و لأنّ هذه الكلمات وقعت فواصل ، والفواصل مثل الأسجاع ، تعتبر بحالة الوقف ، مثل القوافي ، فلو قيل: (اقرؤوا كتابي إنّي ظننت أنّي ملاقٍ حسابي)، سقطت فاصلتان، وذلك تفريط في محسنين ، وقرأها يعقوب إذا وصلها بحذف الهاء، والقُرّاء يستحبون أن يقف عليها القارئ ليوافق مشهور رسم المصاحف ، ولئلاّ يُذهب حسن السّجع."[1]

اعتمد ابن عاشور في تعليله لهذه الزّيادة في نهاية كلّ آية والمتمثّلة في الهاء، على الجانب الصّوتي ، فقد رأى أنّ هذه الزّيادة تحافظ على إيقاع صوتي يخلق تناسقًا ، فيقع على القلب موقعًا مستحسنًا ، وهو شبيه بقوافي الشّعر التي تُكسبه موسيقى ، تستجلب السّامع إليها ، و هذا السّجع يُضفي دلالة جمالية في أداء القرآن الكريم وترتيله ، فوجب الوقف عند هذه الفواصل ، والوقف من الظّواهر الصّوتية التي تنبّه لها ابن عاشور في تفسيره للآية.

5/ دلالة العدول الصّوتي بالحذف:

1.5قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ (الفجر: 04)، يقول ابن عاشور في تفسير لفظة، (يسْر) : "قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (إذا يسري)، بياء بعد الرّاء في الوصل على الأصل ، وبحذفها في الوقف لمراعاة بقية الفواصل (الفجر، عشر، الوتر، حجر) ، ففواصل القرآن كالأسجاع في النثر والأسجاع تُعامل معاملة القوافي..."[2]

[1] المرجع نفسه،ج29، ص131.

[2]المرجع السّابق ، ج30، ص316.

فابن عاشور يرى أنّ حذف ياء(يسري) في هذه الآية هو بُغية الحفاظ على تناسب الفواصل القرآنية، فيكون بينها تناسقٌ صوتيٌ يُضفي عليها نغمًا منسجمًا بما قبلها وما بعدها ، فينتج عن ذلك ما يشبه القافية في الشّعر ، وهو ليس بشعر ، وبذلك كان للمستوى الصّوتي دورٌ هامٌّ في تعليل الحذف في هذا الموضع.

6/ دلالة العدول الصّوتي بالإدغام:

1.6 قوله تعالى: ↓ ❶⬩🕒🏵♑🙰🖮⍓ 🙯🕮⬧❏❄❑🕮⬧☠⬃⚝🏳 ⅃⌧🙵✍🖉🕭🕬✇✁☎
✁🙵🖉⅃ ❑◆❻◆🙫⬅❏🖉⬩🕮⬁⓿ ☎ ❑◆✌◆♊ ④⬅⌖◆🙵🖉🗗♏🙤 ✁🙵🖉⅃
(الحشر، 04)، ↑ 🙤🟑🙵⬩🌓♑➔⬂🙛🙵✁ ⬅⑨③♑⑨⌧⅃ ⅃🖉🙵✁ ❏♌☠⌧⬩▫

يقول ابن عاشور في كلمة (يشاقّ) :"أدغم القافان في (يشاقّ) ،لأنّ الإدغام والإظهار في حقّه جائزان في العربية ، وقُرئ بهما في قوله تعالى: ↓ ❏◆✌◆♊⍓ ③◆❷🙯✍⬩⑨♑⑩⬂

في سورة العقود، والفك لغة الحجاز، والإدغام لغة بقية العرب."[1] ↑ 🕒♑❍♑☪③♑⑩ ♊◆⬁ 🙯☠➚🗏☪♑✌

فابن عاشور برجوعه إلى التّحليل الصّوتي لكلمة(يُشاقّ) ، اتّضح له أنّه قد وقع عليها ظاهرة صوتية هي: الإدغام، غير أنّه يرى بجواز فكّه في الآية ، ويعتبر ذلك اختلاف في القراءات ، لاغير، والظّاهر أنّ الإدغام يُضفي نوعاً من اليُسر والجمالية إذا كان في موضعه.

2.6 قوله تعالى: ↓ 🕮❏▫⬩☺⍓♊ ⑨◆🙵🙯⑨♑❽✓ ◗☠🖫■❼ ✁🙵🙛⬂⬩⍓🗗♎🙬
♌❏🕮 ⅌⬩☠◗ ✓❽♑♎⑨🙞🙵◆⑨ ⬩⬩ ♊❏✌❏🕮 ⍓➚◆⌛✱✌⬁③ ♍❏🕮 ❻🗗⍓❍❏🕮
⑨⬅🙵🙯⑨⍓❽🗏 ☎ ▫⬩☺⍓🙵 🙛⬩🗏➚🗗🙯 🖅⌧⓿⬂✁⍓ ✌❏◆⬂🗏➚☺⬅❏♍🙠 ↑
(يونس، 35)، قال ابن عاشور في تفسيرها:" قد اختلف القُرّاء في قوله تعالى: ↓ 🕮❏✌❏♊ ⬩⬩

(على أنّ أصله... وأبو عمرو ، وابن عامر ، وابن كثير ، فقرأ نافع ، ↑ ✓❽♑♎⑨🙞🙵◆⑨

[1] ابن عاشور ، التّحرير والتنوير ،ج28، ص75.

يهتدي)، أبدلت التّاء دالاً لتقارب مخرجيها ، وأدغمت في الدّال ، ونُقلت حركة التّاء إلى الهاء السّاكنة.."[1]

وهذا أيضًا من قبيل الإدغام الذي أشار إليه ابن عاشور في غير ما موضع من تفسيره ، فالشاهد ها هنا هو ما للتّنوعات الصّوتية من تقوية للمعنى ، سببه قوة المبنى ومتانته، فالصّورة الصّوتية لها أثر بالغ ينعكس على صورتها الدّلالية.

7/ دلالة الإبدال:

1.7 قوله تعالى: ↓ ✈☜♎⚐☋♐☟♎✈☜♎⚐☋♐☟ ⌧❶◷◆❸⬀♉⬑⬁☜♎✈
✈♎☜⬁⬀☺⬅○⬄✌◆◑✍➚☹◆ ⬆︎ (الفاتحة: 06)،يقول ابن عاشور في تفسيره

لكلمة (الصّراط):" الصّراط : الطّريق، وهو بالصّاد والسّين ، وقد قُرئ بهما في المشهور ، وكذلك نطقت بالسّين جمهور العرب إلاّ أهل الحجاز نطقوه بالصّاد مبدلة عن السّين لقصد التّخفيف في الانتقال من السّين إلى الرّاء ثمّ إلى الطّاء ... وإنّما قلبوها هنا صادًا لتطابق الطّاء في الإطباق ، والاستعلاء والتّفخيم مع الرّاء استثقالاً للانتقال من سُفل إلى علوّ ... والقراءة بالصّاد هي الرّاجحة لموافقتها رسم المصحف ، وكونها اللّغة الفصحى ."[2]

بالرّجوع إلى المستوى الصّوتي –أيضًا– يرى ابن عاشور أنّ ثمة ظاهرة صوتية قد حصلت في كلمة (الصّراط) وهي إبدال السّين إلى صاد ، وهذا الإبدال حدث بغرض جلب اليُسر، وتسهيل النّطق وتيسيره على القارئ ، ومرتّل القرآن بدون أي تكلّف ، هذا وإن كان قد قرأ بالسّين أكثر العرب، فالقراءتان كلتاهما مقبولتان وثابتتان .

[1] المرجع نفسه ،ج11، ص163.

[2] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج01،ص 190.

2.7 قوله تعالى: ↓ 🕲ﾅ⅄○⇔☀♦❁ ◆◘■⓿⍌♑🕲ℝ☺←⓿❁⓫⍌➲⓬⓮❷✍ ✐✂✂ঌ

↑ (الغاشية: 22)،قال ابن عاشور :" صيطر : بصاد في أوله ، والأشهر بالصّاد ، وتقدّم في سورة

الطّور قوله تعالى :↓ 🕮□⊢⇗ ♎➔☠↖ ✃🙰⓿⍌☺←⓿&⓿⍌➲⓬⓮❷↖□♌♦ ✐✂✂ঌ ↑

(الطور: 37)، وقرأ الجمهور ، وقرأ هشام عن ابن عامر بالسّين ، وقرأه حمزة بإشمام الصّاد صوت الزّاي."[1]

وهذه أيضًا من أدلة إبدال الصّاد إلى سين، والتي تُحيل إلى الدلالات والأغراض نفسها التي سبقت.

8/ دلالة التّنغيم:

1.8 قوله تعالى: ↓ 🔔➔🖎⬀ 🕮□❻◆↗◆③⇗☞◆▥↗☠⬀ ⓵🙰♌⇗ 🕮□✍♦⍌▥↗☠⬀

↖◆⓿⌧✃☢⊃ ✃🙰✎★ 🕮□□⇗ 🕮□✍♦✌⇗▥↗☠↖ ✃🙰⓬○○🙰↖◆□➔

🕮□⓬⌧❷⬀❸◆ ✍♦⑨⇧↖↖□♌♦ ⓵🙰♌ ✍↗☪☞←⊢⇔

⊕❁⓪⑨⌂⌂✓×♦ ↑ (الأنعام: 40) ، يقول ابن عاشور :" أخرجت العرب هذا اللّفظ من معناه بالكلية ، فألزمته الخطاب ، وأخرجته عن موضوعه إلى معنى (أمّا) بفتح الهمزة ، فجعلت الفاء

بعده في بعض استعمالاته ، كقوله تعالى: ↓ 🔔♦🙰✌♦ 🕮□❻◆↗◆③⇗☀♦❁ ⓵🙰❶⍌

🕮□□◆③⇗☪◆🙰✎ ⓵🙰⍌🖫■❼ ✃🙰⓬⓪○②⇗❷♦□✐ ▫♦⌧🙰❄□🙰❼

♦■○⬀⓾☀➔ ✃🙰🖳⍌♦←□☠❁ ↑ ، فما دخلت (الفاء) إلاّ ، وقد أخرجت (أرأيت) لمعنى (أمّا)، وأخرجته أيضًا إلى معنى (أخبرني) ، فلا بدّ بعده من اسم المستخبر عنه ."[2]

يعدّ التّنغيم قرينة صوتية تُظهر الغاية من التّركيب ، وهو ذو علاقة وثيقة مع المستوى التّركيبي إذْ يحدّده ويبيّن غرضه، وبالرّجوع إلى وظيفة التّنغيم استطاع ابن عاشور أن يعرف الغاية من هذا الاستفهام الوارد في الآية ، فالغرض منه ليس استفسارًا حقيقيًّا ، وإنّما جاء بغرض الإنكار، أي ينكر

[1] المرجع نفسه: ج30، ص307.

[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج07، ص222.

عليهم دعوة غير الله ، وبالتّاي خرج الاستفهام من وظيفته المنوطة به إلى وظيفة أخرى حدّدها التنغيم ، والذي أعطى معنى آخر للتركيب.

8.2 قوله تعالى: ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ (الشرح: 01)، يقول ابن عاشور :"هذا استفهام تقريري على النفي ، والمقصود: التّقرير على إثبات المنفي كما تقدّم غير مرة ، وهذا التّقرير مقصود به التّذكير لأجل أن يُراعي هذه المنّة عندما يُخالجه ضيق صدر ممّا يلقاه من أذى قومٍ يُريد صلاحهم و إنقاذهم من النّار ، ورفع شأنهم بين الأمم، ليدوم على دعوته العظيمة نشيطًا غير ذي أسفٍ، ولا كمدٍ."[1]

هذه الآية الكريمة الاستفهام الوارد فيها كما قال ابن عاشور هو ليس استفهاماً حقيقيًا ، وإنّما الغاية منه النّفي ، جاء لغرض الإقرار والتذكير بنعم الله على عبده ، ومنها أنّه شرح صدْره بعد ضيق وهداه إلى الإسلام ، وملأ صدره بالإيمان ، وأخرجه من الظّلمات إلى النّور ، فماذا بعد ذلك إلاّ الصّبر والسّلوان ممّا قد يُلاقي من أذية في سبيل تبليغ دعوته، ودلّ على ذلك كلّه القرينة الصّوتية الواردة ، وهي التّنغيم التي أعانت على تفسير الآية .

9)دلالة تعدد القراءات وأثرها في التّفسير :

1.9قوله تعالى: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ (الفاتحة: 03)، يقول ابن عاشور: "قرأه الجمهور (ملك) بدون ألف بعد الميم، وقرأه عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (مالك)، بالألف، فالأول صفة مشبهة صارت اسمًا لصاحب الملك (بضم الميم) ، والثاني اسم فاعل من (ملك) بدون ألف ، وقراءة (مالك) بالألف من خصوصيات بحسب قصر النّظر على مفهوم

[1] المرجع نفسه ، ج30، ص408.

كلمة (مالك)، وغفلوا عن إضافة الكلمة إلى (يوم الدّين)، فأمّا والكلمة مضافة إلى (يوم الدّين) ، فقد استويا في إفادة أنّه المتصرّف في شؤون ذلك اليوم دون شبهة مشارك."[1]

يرى ابن عاشور أن تعدّد القراءة في هذه الآية ، والواردة في لفظة(مالك)، وان اختلفت في الصّياغة ، وكيفية الأداء والنّطق بأصواتها إلاّ أنّها تجتمع في كونها تدّل على معنى موحّد ، فهذا الاختلاف لم يُخل بالمعنى العام للآية ، وإنّما يرجع إلى خصوصية كلّ قراءة والمحتجين بها.

2.9 قوله تعالى: ⬇ ❐♌♉◑ ✁✍✍▲🔔♉⇦▫☙ ✍⊠⊞☒❷⬉❒✁☎ ✎⍓❑◆✁✐⬀⬋
⬂♦◙■⑩⬂♑♉⚐⇨ ⬀◆📖❑✡⓿☒❻⬀✍♦♑⬅☠⬀ 📖❑⚑⬃ ๑♦☠⬀ ✍➔☪⓿⇐❻⬀♎➔☠⬀
•• ③⬉♦⬃✌♉☪⬉❑♌♦ ⬆ (البقرة: 06) ، يقول ابن عاشور :" قرأ ابن كثير (أأنذرتهم) بهمزتين، أولاهما محققة، والثانية مهملة، وقرأ قالون عن نافع وورش عنه في رواية البغداديين، وأبو عمرو وأبو جعفر كذلك مع إدخال ألف بين الهمزتين ، وكلتا القراءتين لغة حجازية ، وقرأه حمزة وعاصم والكسائي بتحقيق الهمزتين ، وهي لغة تميم... وهذا اختلاف في كيفية الأداء لا يُنافي التّواتر."[2]

في هذه الآية الكريمة وفي لفظة (ءأنذرتهم) بالتحديد ، يرى ابن عاشور أنّ الاختلاف في كيفية أدائها لا يتنافى مع ما هو متواتر ، إن لم يؤد ذلك إلى اختلال في المعنى ، وإنّما ذلك يعدّ من قُبيل تعدد القراءات الذي يرجع سببه إلى اختلاف الأمصار واللّهجات.

وظاهرة تعدد القراءات تتداخل فيها المستويات كلّها، وتتكامل فيما بينها غير أنّها لا تؤدي إلى تغيير دلالي في النّصوص، ولم يكن لابن عاشور أن يصل إلى هذا الاستنباط إلاّ برجوعه لعلم القراءات والذي يعتبر ذو منهج صوتي خالص .

[1] ابن عاشور، التحرير والتّنوير، ج01، ص175.

[2] المرجع نفسه: ج01، ص215.

لقد تمكّن ابن عاشور برجوعه إلى المستوى الصّوتي ، أن يصل إلى تفسير صحيح لمختلف الظّواهر الصّوتية التي أنتجت لنا دلالات مختلفة في سياقات معيّنة، وبذلك تبيّن لنا ما للمستوى الصّوتي من أثر في توجيه المعنى في النّص القرآني.

الفصـــل الثاني.

أثر المستوى الصّرفي في تفسير النّص القرآني.

1. المستوى الصّرفي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريـــــــــــــم.
2. نماذج لأثر المستوى الصّرفي في تفسير النّص القرآني (تفسير التّحرير والتّنوير لاطاهر ابن عاشور).

المبحث الأول: المستوى الصّرفي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم.

إنّ العناية بالمستوى الصّرفي في دراسة اللّغة لا يقل أهمية عن سابقه أي المستوى الصّوتي ، وكأنّ أصوات اللّغة هي جذورها التي تستمد منها مصدر حياتها ، ويليها الصّرف والذي يعتبر بمثابة السّاق الذي يصل الجذور بأوراق تلك الشجرة الوارفة والتي تعكس لنا رموز هذه اللغة المعبرة عن شتى الأغراض الإنسانية.

1 .تعريف الصّرف:

1.1 لغة: ورد في المعجم الوسيط :"صرّف الأمر: دبّره ووجّهه ، ويقال:صرّف الله الرّياح وكذا بيّنه ،وفي التنزيل العزيز، قوله تعالى: ↓ ❐◆⬩⧫◆⬩⬤⬧⬩⬧ ⬥⬦⬩⬧⬩⬧❒⬦ ⬧⬩⬧❒ ✗⬧❼
✄❼■🗀❒⬧⬧ ⬧⬧⬧⬧⬧ ⬧⬧⬧⬧ ⬧⬧⬧ ⬧⬧✄◆⬀⬀❷→⬧⬧⬧⬧✄ ✄⊠⓿⬧⬧⬧
🕮❒⬧⬧⬧⬧❸←⬧ ✄⬧⬧⬧⬧ ⬧⬧⬧ ⬧→⬧→❒❻✡✄ ⬧⬧⬧⬧ ↑ (الإسراء:89)،
وصرّف الألفاظ:اشتق بعضها من بعض، والصّرف: صروف الدّهر: نوائبه، وعند أهل اللّغة:علم تعرف به أبنية الكلام واشتقاقه."[1]

وورد في لسان العرب:"الصّرف : التّقلب والحيلة...ومنه التّصرف في الأمور، وقيل: الصّرف والوزن والعدل، والكيل، وصرفنا الآيات: أي بيّناها، وصرف الشيء: أعمله في غير وجه ،كأنّه يصرفه عن وجه إلى وجه آخر."[2]

كما وردت في معاجم أخرى مفاهيم ومعان مختلفة للفظة : الصّرف ، ومنها ما جاء في معجم اللّغة العربية المعاصرة:" تصرفت الكلمة (نح): اشتقت منها كلمات أخرى ، وتصريف الأفعال بعضها من بعض، وإسناد الأفعال إلى الضمائر."[3]

وقد وردت كلمة صرْف في القرآن الكريم في عدّة مواضع ، ومنها: قوله سبحانه : ↓
❒◆⬧⬧⬧⬧✄ ⬧⬧◆⬧ 🕮↑✡❽⬧⬧⬧⇧ ⬧←❒❻◆❒⊲ ✡⬧→❷◆⬧
⬧→⬧⬧→⬧⬧⇨ ⬧⬧■❼🗐 ⬧◆→⬧⬧ ⬧⊠⬧⬧ ③◆❷◆🗀⌛→⬧ ⬧⬧⬧⇦
🕮❒■◆⑨⬧ ⬧→⬧▪ ✄⬧⬧✡⬧❷◆▫→❒✄☎ 🗐 ⬧❸◆❼⬧ ✄⬧⬧✦

---

[1] يُنظر:مجمع اللّغة العربية،المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر،ط.1425،4هـ،2004م،ص513.

[2] ينظر أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، المرجع السّابق، ج09، ص189.

[3] أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب' القاهرة، ط1429،1هـ، 2008م، ص1291.

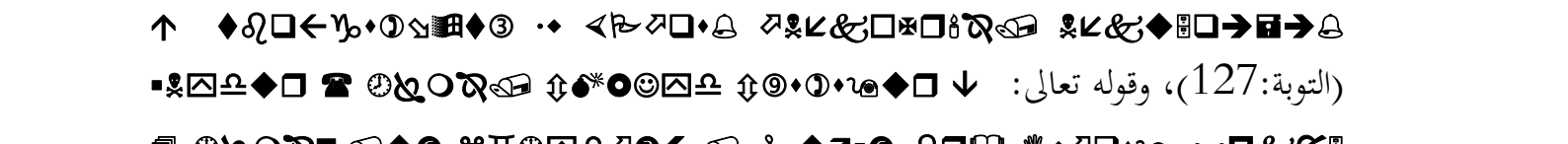

↑ ♦♌︎❑←♑︎⬧◑⬂▦♦③ ·• ⋞⊵⬀❑⬧♎︎ ⬀⚱︎⬋🙵❑❄︎❑🕯︎⧩✉︎ ⚱︎⬋🙵◆▯❑➔▪➔♎︎
(التوبة:127)، وقوله تعالى: ↓ ❑◆⬧⍓☺⬧➈⇧ ⚐⌧☺○✷⬧⇧ ⚐⌧✉︎○⧩◌ ☎ ❑◆⚐⌧⚱︎▪

🗐 ◌⧩○◌■✉︎◆❻ ⌘♊︎◌⚐⌧⬀❷←✉︎ ✂︎◆⬈▪❻ ♌︎❑🕮 ✋︎⬧⬀❑⬧⍓ ⬦❑🙵✐︎▯
◆⬈☑︎❑❹○⍓⬦✂︎ ←○⬃☪︎♦⬉ ♦⬦⧩❸⬄⬰◆☪︎◌⍓ ⚐⌧🖮◌⍓◌⌧⓿⬧🗏
⬦♦✡︎◌❿⬦♦⌛︎◌⬉ ⇧♊︎◌✌︎ ◌←○✸✡︎⧩◌ 🗐 ◆⬈✎⬦♦⯐⬄⬧⌧▦⬂⍓⬦✂︎◆❑

↓ وقوله تعالى: (**يوسف**:24)، ↑ ⬥▫✓⬁◌■▪⬂⬲←☺⬂⍓⬦✂︎

⇧⬦⧩❸⇧◌⬦✂︎ ⬦◆☪︎✸✉︎◆❻ ♦♌︎❑⬈⍓❑➔◑♦③ ⬥▫⬄◌♎︎⅄✎⬦✂︎◆❑
⬦⌧♑︎♦✉︎✂︎⌧⓿♦⬉ ·♍︎⧩◑ ☎ ♦☹︎⅄➔⌧♑︎⌧♉︎ ⌘☢︎✂︎⌧⓿♦⬉ ⬦❑✡︎♦⬉
✍︎⌧⌧♌︎♦ ➘⌧❷♦✂︎✌︎◌⬦ ↑ (الفرقان:65)، والتّصريف مأخوذ من الصّرف ، ومنه قوله

تعالى: ↓ ... ❑♦✍︎⬧⬰⬄❸⧩③✂︎⬀ ⌘⌧◌♦③▩♒︎❷⍓⬦✂︎

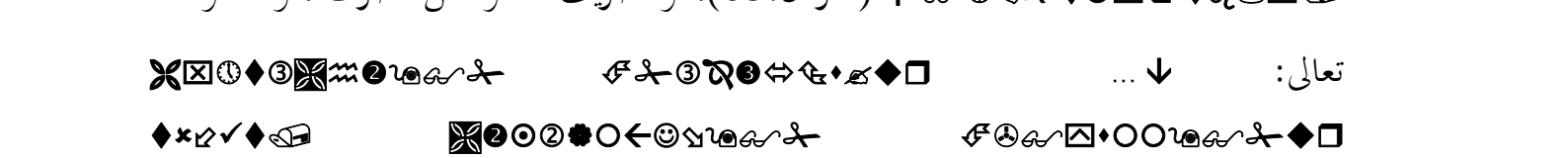

❑◆✂︎⬦⍓○○⬧⌧⬦♲︎⬀ ✂︎⬦⍓⬂☺←○❂②◉❷▩ ✉︎◆✓⬃✖︎♦
✂︎⬦⍓○○☺⌧⬦✎⬈◌ ❑◆✂︎⬦❀☛❻⬀▼⬰ ⌧✞③♦◌✱⬬ ◉⍓♋︎◌◑⬧❑⬀➔🗏
③♦➔⬂⬀⬧◑❑♌︎♦ ⬀◌🙰◌⬲⬰ ↑ (البقرة:من:164).

وكلّ هذه المعاني اللّغوية تجتمع بالمعنى الاصطلاحي في دلالتها المجملة ذلك أنّ مفهوم الصّرف:

2.1 اصطلاحًا: يحمل معنيين:

المعنى العملي: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة، و لا تحصل إلاّ به، أي بهذا التّحويل ، كاسم الفاعل، واسم المفعول واسم التّفضيل، والتثنية ، والجمع ...إلى غير ذلك.

وبالمعنى العلمي: علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء، والأبنية (ج) بناء، وهي الكلمة .....من حركة وسكون، وعدد حروف ، وترتيب."[1]

فالصّرف بهذا المعنى هو المقصود في هذا الصّدد أي في دراستنا للمستوى الصّرفي، ويتضمن كلّ ما يتعلق ببناء الكلمة ، والتغييرات الحاصلة في بنيتها.

أمّا المحدثون فهم يرون أنّ الصّرف :"كلّ دراسة تتصل بالكلمة أو بأحد أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة أو الجملة ،بعبارة بعضهم تؤدي إلى اختلاف المعاني النّحوية، كلّ دراسة من هذا القبيل هي :صرف".[2]

[1] محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، دار الكيان ، الرّياض، د.ط،د.ت، ص49.

[2] كمال بشر، التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، دط، 2005، ص423.

ويذكر عبد المقصود محمد عبد المقصود:"الدّرس الصّرفي في الحديث ، هو فرع من فروع اللّسانيات ، ومستوى من مستويات التّحليل اللّغوي يُعنى بتناول البنية التي تمثلها الصّيغ والمقاطع والعناصر الصّوتية التي تؤدّي معاني صرفية أو نحوية ، ويطلق الدارسون المحدثون على هذا الدّرس : مصطلح المورفولوجي."[1]

فالدّرس الصّرفي عندهم هو أهم الفروع المعتمدة في التّحليل اللّغوي لتعلّقه ببنية المفردات المكونة للّغة ، غير أنّ ما نلمحه هو التّأثر الملحوظ الذي شهدته الدّراسات اللّغوية العربية ببعض المصطلحات الأجنبية ، فأطلق على المستوى الصّرفي: المستوى المورفولوجي في غالب الدّراسات الحديثة ،ويعود ذلك إلى نسبته للوحدة الأساسية في التّحليل الصّرفي ، يقول محمود فهمي الحجازي:"المصطلح الأساسي في التّحليل الصّرفي الحديث هو مصطلح المورفيم (Morpheme)،أي الوحدة الصّرفية ، فالباحث اللّغوي يحاول تقسيم السّلسلة الكلامية ، إلى عناصرها المكونة ، ثم يصف هذه العناصر ، وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللّغوي الحديث، غير أنّه تعدّ الوحدة الصّرفية أصغر وحدة في بنية الكلمة تحمل معنى أو لها وظيفة نحوية في بنية الكلمة."[2]

فالمورفيم هو الوحدة الأساسية التي يحاول الباحث اللّغوي الصّرفي البحث فيها ، وفي مكوناتها والتّغيرات التي تطرأ عليها ، وفي العوامل التي تخضع لها ، وفوق كل هذا وذاك : الوصول إلى المعنى الذي يحيل إليه ، فكل تغير في البنية الصّرفية يؤدي إلى تغيير في المعنى العام للفظة ، ولذلك وجب علينا معرفة موضوع علم الصّرف ومكانته وأهميته.

2.1 موضوع علم الصّرف ومكانته:

إنّ جلّ القدامى والمحدثين يتفقون على أنّ موضوع الصّرف هو المفردة اللّغوية والبحث في بنيتها للوصول إلى دلالتها ، ولذلك ذكر أحمد طاهر حسنين أنّ: "الصّرف يهتم بشيئين رئيسين : الأسماء

3 عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصّرفية في ضوء اللّسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، لبنان، **ط1، 2006م، ص93**.

[2] محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللّغة ، دار قباء، القاهرة ،د.ط، د.ت، ص90.

المتمكنة (المعربة) ، والأفعال المتصرّفة (المشتقة) ، و ذلك من حيث البحث في كلٍّ منهما عن كيفية صياغتها وإمكاناتها اللّغوية التي تُفيد المعاني المختلفة ،وكذلك يدرس الصّرف ما يطرأ عليها من إعلال أو إبدال أو قلب أو إدغام ,وما إلى ذلك ، ويجيء هذا متماشيًا مع المعنيين : اللّغوي والاصطلاحي في تعريف الصّرف."[1]

فهذه المباحث هي أهم المحاور التي يتناولها المستوى الصّرفي ،أي يتناول المفردات من حيث: صياغتها، واشتقاقاتها، ومن حيث البحث في أحوالها: من صحة وإعلال ، ومن حيث حالتها: مجردة أم مزيدة.....إلى غير ذلك

وقد أكدّ ذلك محمد محي الدّين عبد الحميد بقوله: "والحق أنّ علم الصّرف من أجلّ العلوم العربية موضوعاً، وأعظمها، وأحقها بأن تُعنى به ، وتنكبُّ على دراسته ، ولا تدّخر وسعًا في التّزود منه ، ذلك بأنّه يدخل في الصّميم من الألفاظ العربية، ويجري منها مجرى المعيار والميزان وعلى معرفته وحده المعول في ضبط الصّيغ ومعرفة تصغيرها ، والنسبة إليها و به وحده يقف المتأمل فيه على ما يعتري الكلم من إعلال أو إبدال أو إدغام ، ومنه يُعلم ما يطّرد في العربية وما يقل وما يندر وما يشذ من الجموع والمصادر والمشتقات."[2]

وفي أهمية هذا الفرع يقول ابن عصفور: "التّصريف أشرف شطري العربية وأغمضها، فالذي يبيّن شرفه احتياج جميع المشتغلين باللّغة العربية إليه، لأنه ميزان العربية ، ألا ترى أنه قد يُؤخد جزء كبير من اللغة بالقياس ...و لا يُتوصل إلى ذلك إلا عن طريق التصريف"[3]

إن العناية بهذا المستوى اللغوي يسعى أولا و آخرا إلى تقويم اللّسان وحفظه من الخطأ أو الوقوع في اللّحن الذي يؤدي إلى فساد المعنى ، فمعرفة قواعد الصّرف يهدف إلى سلامة اللّغة للوصول إلى الدلالة الصحيحة التي تُختزن وراء ألفاظها وعباراتها ومن ثمّ نصوصها أيًّا كان نوعها.

3.1 مكونات النّظام الصّرفي في اللّغة العربية:

1 أحمد طاهر حسنين ، النّظرية اللّغوية عند العرب(الأصوات ،الصّرف، المعاجم، النّحو)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م، ص91

2 محمد محي الدّين عبد الحميد، دروس التّصريف ، الدّار النموذجية للنشر،بيروت ،د.ط، 1416ه، 1995م، ص07.

3 ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التّصريف، تحقيق: فخر الدّين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط1، 1407ه، 1987م،ص27.

يقوم أي مستوى في أي نظامٍ لغوي (سواء أكان : صوتيًا ، صرفيًا، نحويًا أم دلاليًا)، على مجموعة من الأسس تُعين الباحث على إدراك قواعد هذه اللّغة ، والنّظام الصّرفي للغة العربية كغيره من المستويات ، ينبني .كما ذكر تمام حسان . على ثلاثة دعائم هامة:

- مجموعة من المعاني الصّرفية ، التي يرجع بعضها إلى تقسيم الكلم ، ويعود بعضها الآخر إلى تصريف الصّيغ.
- طائفة من المباني بعضها صيغ مجرّدة ، وبعضها لواصق ، وبعضها زوائد ، وبعضها مباني أدوات.
- طائفة من العلاقات العضوية الايجابية ، وهي وجوه الارتباط بين المباني، وطائفة أخرى من القيم الخلافية أو المقابلات ، وهي وجوه الاختلاف بين هذه المباني.[1]

فهذه هي أهم المحاور التي يتناولها النّظام أو المستوى الصّرفي في معالجته للّغة ، وتطرقه لبنيتها ، وهذا الأمر ظاهر واضحٌ سواءٌ عند القُدامى أو المحدثين ،إلاّ فيما يتعلق باختلافات في المصطلحات والألفاظ ، غير أنّ غايته واحدة لم يظهر من خلالها اختلاف كبير بين الدّراسات السّابقة والحديثة.

ولمعرفة أصول الكلمة وتقليباتها واشتقاقاتها أو لمعرفة حالتها من حيث الصّحة والاعتلال، أو التّجريد والزّيادة ،وغير ذلك من المسائل الصّرفية ينبغي أن نضبط ذلك كلّه بما يسمّى: (الميزان الصّرفي)، وهو من الأساسيات المهمة في التّصريف.

4.1 تعريف الميزان الصّرفي:

يعتبر الميزان الصّرفي من المباحث التي لها أولوية في الدّرس الصّرفي ، ولذلك ذكر هادي نهر أنّ :" من أبدع ما وضعه الصّرفيون لضبط اللّغة (الميزان الصّرفي) ، فهو مقياس دقيق للكلمة تعرف به أحوالها وحركاتها ، والمزيد والمجرد منها، وقد يطلق على الميزان الصّرفي أحيانًا اسم (المثل) ، فالمثل هي الأوزان الصّرفية."[2]

[1] يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية : معناها ومبناها، دار الثقافة ، المغرب، د.ط، 1994م، ص82.

[2] هادي نهر، الصّرف الوافي(دراسة وصفية تطبيقية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،2010م، ص17.

وتعتبر الغاية الأساسية من معرفة الميزان الصّرفي هو إدراك عدد حروف المادّة ، لذلك ورد في تعريف آخر له أنّه:" معيار لفظي اصطلح علماء الصّرف على اتّخاذه من أحرف (ف،ع، ل)، ليزنوا به ما يدخله التصّريف من أنواع الكلم العربية ، فكما احتاج الصّائغ مثلاً إلى ميزان يُعرف به القدر الذي يصوغه، احتاج الصّرفي إلى ميزان يعرف به عدد حروف المادّة ، وترتيبها وما فيها من أصول ، وزوائد وحركات، وسكنات."[1]

وللميزان الصّرفي فوائد كثيرة ذكرتها خديجة الحديثي في كتابها (أبنية الصّرف) ، والتي أجملت أهمها فيما يلي:

_ يبيّن حال الكلمة وما طرأ عليها من تغييرات (حذف أو قلب)، ,و أيضًا ما فيها من حروف أصلية أو زائدة ، وذلك بلفظ موجز.

_ يمكّن المتعلم من معرفة عدد الحروف الأصلية في الكلمة ، ومن هنا نستطيع التفرقة بين ما هو ثلاثي وما هو رباعي أو خماسي ، كما يعرف الأصلي من الزّائد ويعرف موضع الزّائد في الكلمة.

_ إفهام المتعلّم التغييرات الصّرفية التي تحدث في الكلمات دون إضاعة وقت أو جهد في الشرح النّظري الطويل.

_ يعطينا الميزان الصّرفي فكرة عمّا يحدث في الكلمة من حذف أو تغيير في مواضع حروفها بالتقديم والتّأخير ، فإذا قلت إنّ وزن (عدّة) هو(علّة)، عُلم من ذلك أنّ المحذوف هنا هو : فاء الكلمة وهي المقابلة للواو، أو بالأحرى الواو المقابلة لها ، لأنّ الميزان هو الأصل.

_ الميزان الصّرفي فوق كلّ هذا يُعطينا فكرة أوضح عن سبب الاختلافات الصّرفية حول ما يُحذف أو يُقلب، وهو الأمر الذي نجده في كتب التراث القديم التي تزخر بخلافات بين العلماء الأقدمين.[2]

وهذه المسألة الأخيرة أو الفائدة الأخيرة للميزان الصّرفي هي ما جعلت فهم النّص القرآني، يختلف من مفسّر لآخر بحسب تحليله للصيغة الصّرفية :إن كانت اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة،

[1] أيمن أمين عبد الغني، الصّرف الكافي ،المرجع السّابق، ص23.

2 يُنظر: خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، مكتبة النّهضة، بغداد، ط1385،1هـ1965 م، ص128.129.

أو صيغة مبالغة...الخ، ومن ثَمّ تعددت طرائق تفسير وتأويل آي القرآن الكريم، إلاّ أنّ هذا الاختلاف مبني على الحجة القوية والدليل المنطقي، لا على إتباع الهوى ، وسوء الفهم، وهذا ما جعل الكثير من العلماء لا يردّون بعض التّفاسير لموافقتها للّغة ، وعدم تضاربها مع ما ورد من لسان العرب، كما أنّها قُبلت لعدم معارضتها مع المقتضى الشّرعي.

5.1 تداخل النّظام الصّرفي بالمستويات اللّغوية الأخرى:

إنّ النّاظر في الدّرس الصّرفي يجد أنّه ثمة صلة وثيقة بينه وبين باقي أنظمة اللّغة ، وهذا ما أشارت إليه فاطمة الهاشمي بكوش بقولها :" شغلت المباحث الصّرفية بحسب تصور اللّسانيين العرب منطقة وسطى ما بين المبحث الصّوتي المبحث النّحوي ، فعلم الصّرف يعتمد في مسائله وقضاياه على نتائج البحث الصّوتي ، وهو في الوقت نفسه يخدم النّحو ، ويسهم في توضيح مشكلاته."[1]

وهذه الحلقة المهمة التي تربط هذه المستويات بعضها ببعض ، قد تنبّه لها القُدامى فضلاً عن المحدثين ، وإلى ذلك أشار أحمد محمد قدور بقوله:" قد تنبّه علماؤنا القُدامى إلى الصّلة الوثقى بين الأصوات والتغييرات الصّرفية ، حين قدّموا لأبواب الإدغام والبدل ، ونحوهما بعرضٍ للأصوات العربية ومخارجها وصفاتها ، وما يأتلف منها في التركيب ، وما يختلف ، وما يعدّ حين اجتماعه مردودًا أو مقبولاً أو حسناً."[2]

ولذلك جعله القدماء في مرتبة وسط بين علمي الأصوات و النّحو ، فهو يأخذ من الأول خدمة للثاني ، فيحصل التكامل بين المستويات كلّها.

وقد كان السّيوطي يعدّ الصّرف قسيمًا للإعراب ، ولم يتفرّد السيوطي بهذا الموقف ، وإنّما عدّ معظم الدّارسين القُدامى الدّرس النحوي علمًا شاملاً للصّرف، حتّى انفصلا عن بعضهما البعض وبدا الصّرف مستقلا عنه، كما وُضعت له حدودًا ومفاهيم يُعرف بها وتميّزه عن غيره.

---

1 فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث (دراسة في النّشاط اللّساني العربي)، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م، ص120.

2 أحمد محمد قدور ، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1996م، ص186.

وعلم الصّرف مقدّم على علم النّحو ، كما ذكر جرجي شاهين بقوله: "لأنّه يبحث عن ذات المفردات ،والنّحو عن صفة المركبات ، والمفرد قبل المركّب ، والذّات قبل الصّفة ، أي يبحث في بنية الكلمة وتحويلها من هيئة إلى هيئة أخرى ، إمّا لتغيير في المعنى ، وإمّا لتسهيل في اللّفظ، وإمّا للأمرين جميعًا."[1]

وفي هذا الصّدد يقول ماريو باي: "إنّ الحدود بين هذه المستويات الأربع غير واضحة تماماً ومتشابكة ، فأصوات اللّغة مثلاً تتأثر كثيرًا بالصّيغ ، والعكس كذلك صحيح ، والصّوت والصّيغة كلاهما يتأثران –غالبًا– بالمعنى ، كذلك يوجد تبادل مطّرد بين الصّرف والنّحو، كما هو الحال بالنّسبة لبعض اللّغات ، حين نستعمل واحدًا منهما ونستغني عن الآخر ، ولهذا فإنّ الصّرف والنّحو كثيرًا ما يُجمعان تحت اسم واحد هو التركيب القواعدي (Grammatical Structure) ."[2]

وخلاصة ذلك كلّه أنّه ثمة تدّرج للمستويات اللّغوية ، وهو أمر انتهجته اللّسانيات الحديثة ، يبدأ من أصوات اللّغة إلى بُنيتها الصّرفية ، فتركيبها النّحوي ،وصولاً إلى دلالتها ، والتي تمثل قمة هذا التّسلسل.

6.1 الدّلالة التّصريفية في القرآن الكريم:

اهتم المفسرون بالبحث في الدّلالة التّصريفية لأبنية الكلمة و تنوع اشتقاقاتها ، وما توحي إليه قصد الوصول إلى المعنى الكلّي المقصود في النّص ، وقد عرفت الدّلالة التّصريفية أنّها :"الأثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة ، ومن التغييرات التي تحوّلها إلى أبنية مختلفة... فلكلّ بُنية دلالة معيّنة ، والبُنية ضمن ما يحدّد نوع الكلمة : هل هي من الأسماء أم الأفعال ، أم المشتقات، أم المصادر ، وكلٌّ من هذه الأنواع له بُنى فرعية ذات دلالات معيّنة ،فكلٌّ من : سامع ، وسمّاع ، ومسموع أوصاف ، إلاّ أنّ سامعًا ، يدل على الحدث ومن قام به ، وسمّاع يدل على كثرة الحدث،ومسموع يدلّ على من وقع عليه الحدث."[3]

---

[1] جرجي شاهين ، سلم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط4، د.ت، ص04.

[2] ماريو باي، أسس علم اللغة ،ترجمة: أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة، 1419هـ، 1998م، ص44،45.

[3] فريد عبد العزيز الزّامل، الخلاف الصّريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم،دار ابن الجوزي ، القصيم، ط1، 1427هـ، ص62.

فتنوع الصّيغ يؤدي التي تنوع دلالتها ، ولهذا الغرض –أي الأثر المعنوي– المستفاد من اللّفظة ، ومدى تأثيره على النّفس، نستطيع أن نلمس ذلك الإعجاز المتجسّد في المفردة القرآنية من حيث حسن انتقائها وكيفية صياغتها ممّا يعكس أثرًا عميقًا لدى المستمع، ولهذا قال محمود السيّد شيخوان: " إذا تأملت في الكلمات التي تتألّف منها الجمل القرآنية ، رأيتها تتميّز بميزات ثلاث رئيسية هي: 1/ جمال وقعها في النّفس ،2/ اتّساقها الكامل مع المعنى ،3/ اتّساع دلالتها لما لا تتّسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات ."[1]

فالمحلّل لألفاظ القرآن الكريم لا يجب أن يتوقف عند صورتها السّطحية وحسب ، بل لا بدّ من أن ينتبه لأبعادها العميقة ، وهذا أمر لا يُؤتاه إلاّ ذو بيان وعقل وفطنة ، ومن كان في زمرة أولي الألباب والرّاسخين في علم التّفسير والتّأويل.

" فلقد استنبط المفسّرون ممّا توحي به الصّيغة الصّرفية ، كثيرًا من المعاني اللّطيفة ، والأحكام الفقهية ، والعقدية ، كما أنّ التأويل لمعاني هذه الصّيغ سمة لبعض الفروق المختلفة."[2]

إذن هذا يعني أنّ معرفة الصّيغ الصرفية وتنوعاتها وشتى صورها كفيل بتنوع المعاني وتوسعها وهو كما ذكر صبحي الصالح مظهر من مظاهر الغنى والثراء في اللّغة وسبيل إلى النّماء اللّغوي ، والتّبحر في المستوى الصّرفي في معرفة دلالة النّص القرآني كفيل بمعرفة أسراره والكشف عن وجه من وجوه إعجازه، وقد ذكر يوسف المرعشلي ما يؤيد ذلك ، فقال:" تبقى التّنوعات الصّرفية أهم الرّوافد التي تعمّق البحث عن أسرار المعاني التي تقف وراء قوالبها ، وتميّز المفردة عن شبيهاتها في الخطاب القرآني،فهي بذلك تعطي كلّ مفردة حقّها من المعنى المراد حتّى يجدها النّاظر أو الدّارس فيها مختارة ، بحيث لو أراد وضع مفردة مكان أخرى لا يستطيع ، لتغيّر المعاني بذلك ، وهذا ما يدلّ على تمام القدرة والحكمة ، وهنا يكمن الإعجاز."[3]

[1] محمود السيّد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن ، مكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1378ه، 1978م، ص77.

[2] فريد بن عبد العزيز الزّامل، الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم،المرجع السّابق، ص64.

[3] يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدّلالات الصّرفية ،دار ابن حزم، بيروت، ط1، 20011م، ص14.

ومن هنا تتضح لنا أهمية المستوى الصّرفي في تفسير القرآن الكريم ، وأنّه لا غنى لمبتغي تفسير القرآن تفسيرًا صحيحًا منطقيًا ومعقولاً عنه، ولذلك ذكر الزركشي (ت 794هـ) أنّ علم التّصريف إحدى الرّكائز الأساسية للتّفسير اللّغوي ، حيث يقول:

" وفائدة التّصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ، فالعلم به أهم من معرفة النّحو في تعرّف اللّغة ، لأنّ التصريف نظرٌ في ذات الكلمة ، والنّحو نظرٌ في عوارضها ، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسّر"[1] .

والمعاني الحاصلة التي يقصدها الزركشي من قوله ،هي تلك النّاتجة عن الاشتقاقات الحاصلة من الكلمة الواحدة ، أي المنحدرة من أصل واحد، وتنجم عنها دلالات عدّة من مثل: اسم المفعول، اسم الفاعل، صيغة المبالغة ، الصّفة المشبهة ، المصادر، اسما الزّمان والمكان... وغيرها ، بالإضافة إلى ما توحي إليه التّغيرات الحاصلة في الأفعال من : تجريد وزيادة وتضعيف وتشديد ، وتعدية ولزوم... وغيرها، والتي تؤدي هي الأخرى دلالات ومعان مختلفة تتغير بحسب تغيّر حالة هذه الأفعال ، وكلّ هذه الظّواهر الصّرفية لها انعكاس في تفسير نصوص القرآن الكريم ، وفهمها فهمًا مستقيمًا لا مرية فيه ، ومن ثَمّ بدا اهتمام المفسرين بالمستوى الصّرفي واضحًا وضوح الأثر الذي يُخلّفه في النّص القرآني.

[1] الزركشي، البرهان في علم القرآن، قدّم له : مصطفى عبد القادر عطا الله، دار الكتب العلمية ،ج1 ،ط1 ،1408هـ، ص373.

المبحث الثاني: نماذج لأثر المستوى الصّرفي في تفسير النّص القرآني (التحرير والتنوير):

إضافة إلى عناية المفسّر الطاهر ابن عاشور بالمستوى الصّوتي للوصول إلى دلالات النّصوص القرآنية ، لم يغب عنه ما للمستوى الصّرفي من أهمية في معرفة المعاني الواردة في القرآن الكريم بطريقة لا يشوبها شك، وبتحليل منطقي منطلقه اللّغة العربية التي هي طريق من طرق فهم القرآن العظيم، والتي لا غنى لأي مفسّر عنها، فبها نزل وبها يُفهم ، وفي هذا المبحث سنورد نماذج صرفية اعتمدها ابن عاشور لتفسير معاني القرآن من مشتقات وغيرها من المحاور المتّصلة بالدّرس الصرفي.

1. دلالة صيغ المبالغة والصّفة المشبهة:

1.1 في قوله تعالى :🡣 ⧫ⓂⓄ·✁⭒⭓“☼⬧⬧○❁⏲⌶⌘ ⚘⭒➔⬧➔⬜⭍⋖ 🗎⬧⭒⦿⦾⭒➏⮽ 🡡 (إبراهيم: 34) ، يقول ابن عاشور: "وصيغة المبالغة في (ظلوم) و(كفّار) ، اقتضاها كثرة النّعم ، المفاد 🡣 ⬜◆⬢⬣♌ ✍⬧➔⭦⑨❻⬜✁☎ ☼⬟➔⬀☺⬔☼❁ ✁⭒✐★ ⬧⬧ 🡡 🗏 ✐⭒⬔⬕⬜⬖⬗⬘⬙⬚ ، إذْ بمقدار كثرة النّعم يكثر كفر الكافرين بها، إذا أعرضوا عن عبادة المنعم ، وعبدوا ما لا يغني عنهم شيئاً."[1]

فابن عاشور بنظره إلى دلالة هذه الصّيغة (المبالغة) استطاع أن يتوصّل إلى حجم النّعم المنعم بها على الإنسان، وإنْ لم يرها، فمبالغة الإنسان في الظّلم ،و كثرة كفر النّعمة يستلزم كثرة النّعمة وسعة حجمها .

2.1 في قوله تعالى: 🡣 ⚘⬚⬛⬜⭒☼ ✁⭒⭓“☼⬧⬧○❁⏲⌶⌘ ⚘⭑⌶ ☼⬧⭐⬜⬘⬛⬜⬝⬞ ⬞⬟⬠⬡⬢✁ ⬣➔⬜◆ ⌘⬤⬥⬦⬧⬨⬩ ⬪⬫⬬⬭⬮⬯⋖ ⬰⬱⬲ 🡡 (النّحل:04) ، يقول ابن عاشور :" خصيم من صيغ المبالغة أي كثير الخصام".[2]

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتّنوير، ج13، ص237.

[2] المرجع نفسه، ج14، ص102.

فهو يرى أنّ (خصيم) هنا جاء بمعنى المبالغة ، على الرّغم من اشتراك الصّفة المشبّهة معها في الصّيغة ، إلاّ أنّ واقع حال الإنسان ، يدلّ على كثرة خصامه وجداله، فرغم خلقه الهيّن من نطفة، فهو يتجاهل ضعفه ويتناسى قدره ، ويتمادى في خصامه وكُفره.

3.1 في قوله تعالى : ⬇ ❒◆❍⬧❍➋♣✂ ❑☑◆❑◌⬧◆⬧⬧❑⬧ ❒◆⬧◆⬧⬄ ⬄⬧◆❑⬧◆ ❑◆⬧⬧◆⬧❑ ✂⬧❍◆⬧ ⬆ (مريم:14)، يقول ابن عاشور:

" البرور :الإكرام، والسّعي في الطّاعة ، والبرّ، بفتح الباء :وصف على وزن المصدر ، فالوصف به مبالغة ، الجبّار: المستخف بحقوق النّاس ،كأنّه مشتق من الجبر، لأنّه يغصب حقوق النّاس، العصيّ : فعيل من أمثلة المبالغة ،أي شديد العصيان."[1]

وكعادة ابن عاشور يسوق- اعتمادًا على المستوى الصّرفي- أوصافًا للإنسان تدلّ على مبالغته في الاتّصاف بها وهي من طبيعة النّفس البشرية إن لم يكن لها وازع يردعها عنها ومنها: الجبّار، على وزن (فعّال)،وهو المتمادي في جبروته ، كما توحي لفظة :العصيّ، على مبالغة الإنسان في العصيان ، وهو أمر لا يكاد ينفك عن بني آدم إلاّ من رحم الله.

4.1 في قوله تعالى : ⬇ ❑⬧◆⬧❑⬧ ✂⬧❑◆⬧ ◆❑❑●⬧ ⬧❑◆⬧⬧❑ ❒◆⬧⬧■⬧◆ ☎ ❑⬧❑❒ ⬧⬧❍⬧✂ ⬧◆⬄⬧⬧ ⬧⬧⬧ ⬧❑⬧ ⬆ (ص:05) ، يقول ابن عاشور في تفسير للفظة (عُجاب):" إنّ هذا لشيء عُجاب ...وعُجاب وصف الشيء الذي يُتعجب منه كثيرًا ،لأنّ وزن (فُعال)، بضم أوله يدلّ على تمكّن الوصف ، مثل: طُوال، بمعنى المفرط في الطّول ، وكُرام بمعنى كثير الكرم، فهو أبلغ من كريم."[2]

يرى ابن عاشور أنّ(عُجاب) على وزن(فُعال) ، هو وصف أقوى وأشدّ في دلالته من (عجيب) لكثرة ما يثير العجب ، ويتنافى مع المعقول ، ويبعث الدّهشة في النّفوس.

فهو أمر عظيم خارج عن العادة في رأي من قال به في هذا الموضع.

[1] الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير،المرجع السّابق،ج16، ص77.

[2] المرجع نفسه، ج05، ص147.

5.1 في قوله تعالى :

(النساء،84)، يقول ابن عاشور:"الحسيب: العليم، وهو صفة مشبّهة من (حسِب)، بكسر السّين، الذي هو من أفعال القلب...ويجوز كونه من أمثلة المبالغة ، قيل الحسيب هنا بمعنى المحاسب، كالأكيل ، والشّريب ."[1]

يرى ابن عاشور أنّ (حسيب) قد تكون صفة مشبّهة أو صيغة مبالغة لاشتراكهما في الصّبغة نفسها ، وكلاهما جائز في هذا الموضع ، نظرًا لعدم اختلال المعنى ، بل في ذلك تعدد للدّلالة.

2. دلالة اسم المكان:

1.2 في قوله تعالى:

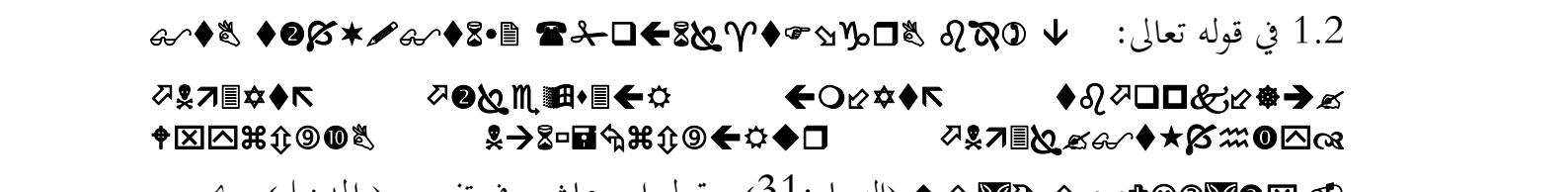

(النساء:31)، يقول ابن عاشور في تفسيره (المدخل) ، بحسب بنائها الصّرفي :" المِدخل بفتح الميم، اسم مكان للدخول ، ويجوز أن يكون مصدرًا ميميًا ، والمعنى " ندخلكم مكانًا كريمًا" أو "ندخلكم دخولاً كريمًا"، والكريم هو النّفيس من نوعه ، فالمراد إمّا الجنة وإمّا الدخول إليها ، والمِدخل بضم الميم، كذلك : مكان أو مصدر أدخل."[2]

نظرًا للتّوسع الصّرفي في القرآن الكريم ، فسّر ابن عاشور كلمة (مُدخل) على وجهين، وكلاهما مقبول دلاليًا ولغويًا ، ولا يُنافي المعنى الشّرعي ، فسواء كان (المدخل) اسم مكان أم مصدرًا فهو يؤدي معنى متقارباً في الآية الكريمة.

2.2 في قوله تعالى:

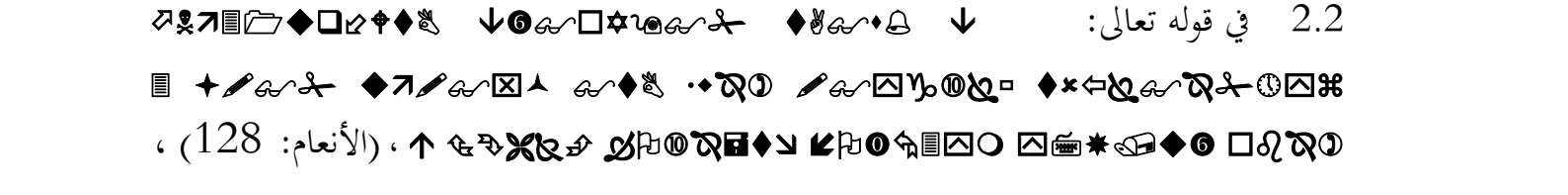

(الأنعام: 128) ،

[1] المرجع نفسه، ج 23،ص210.

[2] ابن عاشور، التحرير والتّنوير، ج05، ص27.

يقول ابن عاشور في تفسيره، "المثوى : اسم مكان من ثوى بالمكان إذا أقام به إقامة سُكنى أو إطالة مكث ، وقد بَيّن الثواء بالخلود بقوله:(خالدين فيها)."[1]

فبالرجوع إلى المستوى الصّرفي استطاع ابن عاشور أن يميّز الميزان الصّرفي للفظة (مثوى) على أنّها اسم مكان ، ومن ثمّ الوصول إلى دلالتها ، في كونها توحي إلي طول المكث في مكان ما ، وهو النّار في هذا الموضع، نعوذ بالله منها.

3.2 في قوله تعالى: ↓ ▫♦☸♦☤✶〰 ☙☺☐➔☙☐☼⇧ ☜☐⊠☺☐☙❷☒⧆▯♎☙Ⅱ● ☐⧠♦⧠☐⧉⇱⇧♂☐☸⇧ ⊙☜☐⑨♦⇑♪☺☐⧠▯Ⅱ● ▭○●←Ⅱ● ☑⇱☜♦⇧☐✱▯♦★☸〰☙ ⇧ ↑ (يوسف :31)، يقول ابن عاشور:" المتكأ: محل الاتّكاء، والاتّكاء: جلسة قريبة من الاضطجاع على الجنب ، مع انتصاب قليل في النّصف الأعلى، وإنّما يكون الاتّكاء، إذا أريد إطالة المكث والاستراحة."[2]

بحسب تفسير ابن عاشور للفظة (متكأ) ، فقد دلت هذه الصّيغة على اسم لمكان الاتّكاء ، و أوحت كذلك على دلالة هذه المفردة، والطريقة التي تكون عليها، فهي هيئة بين الاضطجاع والجلوس، وتصدر من شخص قصد الاستراحة والاسترخاء وهو مطمئن، فدلالتها الصّرفية أدت إلى معرفة دلالتها العميقة المقصودة في الآية.

3. دلالة اسم الزّمان :

1.3 في قوله تعالى: ↓ ☐♦⇱⇱❷☒⇘→☐✁☎ ⇱♦✍■❼▤ ❻♦☜■☙⌨☐ ☋✎☺◎✆☞←☺←☐☼♦〰 ☜⊠☺☐〰 ⇧☜⊙⇣⑨⇧ ☺✺▦☐〰 ⌘☐■☐◑♄☼☐⊙▤↗☜↗ ☐☐☐☐✌♦ ☐♦❷▪☐◎ ▤ ☜♦✎↗ ☺☐⇙☒✔☜✆ ☐☐☐⇱✍⇨ ☐☺⚘✝♑⇘➔☐✍• ☺⇣♦▤↗☜ ☐☐↗⇱♎⑨✡✁ ✍♎☙⇲ ↑ ،(الكهف،48)،

يقول ابن عاشور:" الموعد أصله وقت الوعد بشيء أو مكان الوعد،، وهو هنا الزمان الموعود به الحياة بعد الموت، ، والمعنى أنّكم اعتقدتم باطلاً أن لا يكون لكم موعد للبعث بعد الموت أبداً."[3]

---

[1] المرجع نفسه،ج08، ص70.

[2] ابن عاشور،التحرير والتنوير، المرجع السّابق، ج12،ص 262.

[3] المرجع نفسه،ج15، ص337.

على الرّغم من أنّ اسمي المكان والزّمان متشابهان من حيث الصيغة الصّرفية، إلاّ أنّ ابن عاشور يرى أنّ لفظة(موعدا) ، في هذا الموضع دلّت على اسم الزّمان ، وهو الزمن الذي وعد به الخليقة، والمقصود يوم البعث والنّشور الذي يكذّب به المكذّبون، وقد علم ذلك بالنّظر إلى المستوى الصّرفي للكلمة ، وكذا السّياق الذي وردت فيه.

4. دلالة المصادر:

1.4 في قوله تعالى: ↓ ... ❒◆✁✍✎✦ ↖❅✡⑨◻■←◷ ◯↖◯⇔⇗∀ ✁✍✎⏺♒◻★◆✍✎⚇✿ ⬀✍✎✏ ↑ (آل عمران، 14)، حسب تفسير ابن عاشور :" إنّ ثواب الله خير من ذلك ، والمآب : المرجع، وهنا مصدر :مَفْعل من آب يؤوب ، وأصله : مأْوب، نقلت حركة الواو إلى الهمزة، وقُلبت الواو ألفًا ، والمراد به العاقبة في الدنيا والآخرة."[1]

يرى ابن عاشور أنّ كلمة (مآب) في هذا الموضع ، تصلح لأن تكون مصْدرًا ، ولا ندري سبب امتناعها- عنده- من أن تكون اسم مكان بمعنى المكان الذي يؤوب إليه ، ورغم ذلك فهو قد استخرج وزن هذه الكلمة، وشرح ما جرى فيها من ظاهرة القلب ونقل للحركة ، مستعينا في ذلك بتحليل البنية الصّرفية للفظة وصولاً إلى تفسيرها.

2.4 في قوله تعالى: ↓ ❒◆✍❍⓿☒◷♒✆①☙ ✡←❷▩❽✓

✁✍✎♒○○☺◻◷◆✿♉ ✌♦◘■▤↗❒✿❁ ⌘⚐⑩♉⚍◷♦❷⬀✍❂❀

❒◆✁✍✎❀☞❻⬀∀⬀ ❒◆♒♉⓿◆▤↗❒♌♦ ✌♉♊⌘ ✁✍✎♒⬂☺←❒♎♉✡♉✓×♦

↑ (الأنعام:75)، يرى ابن عاشور أنّ: " الملكوت :اتّفق أئمة اللّغة على أنّه مصدر ، كالرّغبوت والرّحموت والرّهبوت والجبروت، وقالوا: إنّ الواو والتّاء فيه للمبالغة، وظاهره أنّ معناه :المِلك بكسر الميم ، ولما كان فيه زيادة تُفيد المبالغة ، كان معناه الملك القوي الشّديد."[2]

يرى ابن عاشور أثناء تفسيره للمشتقات، أنّ كلمة (ملكوت) هي مصر، لأنّها مشتقة من (ملك)، وهو قول مستدل به من أقوال أهل اللّغة ، ورغم كونه مصدرًا فإنّه لم يَخْلُ من المبالغة بسبب الزّيادة

---

[1] المرجع نفسه ، ج05،ص 182.

[2] ابن عاشور، التحرير والتّنوير المرجع السّابق ،ج07، ص315.

التي تظهر في أحرفه، وهذا ما يعزّز القاعدة التي تجعل كلّ زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى ، وهذا ظاهر بيّن ، فقد أضفت هذه الزّيادة إلى المصدر معنى أكثر مبالغة فيه من (الملك)، يدلّ على القوة والشدّة.

3.4 في قوله تعالى: ↓ ⧫❑➔⚖ ✍︎☠︎✏︎⧫⧫︎ ⧫❑➔☒ ⧫⬧︎☸︎⬥︎ ... ↑ (يونس: 05) ، يقول ابن عاشور:" الضّياء: النّور السّاطع القوي، لأنّه يُضيء للرّائي ، وهو اسم مشتق من الضّوء، وهو النّور الذي يوضّح الأشياء ، فالضّياء أقوى من الضّوء، وياء ضياء منقلبة عن الواو لوقوع الواو إثر كسرة الضّاد ، فقلبت ياءً للتّخفيف ، والنّور : الشّعاع، وهو مشتق من اسم النّار وهو أعمّ من الضّياء ، يصدّق على الشّعاع الضعيف والشّعاع القوي ، فضياء الشّمس نور ، ونور القمر ليس بضياء."[1]

استنبط ابن عاشور معاني هذه المشتقات وهي المصادر: الضّياء، والنّور، وذلك بالرّجوع إلى الأسماء التي اشتقت منها ، ويصنّفها درجات على شدّتها، فيجعل الضّوء عام ، والضّياء أخص منه لقوته ، كما يجعل النّار عامة والنّور أخص منها ، وبعدها يقارن بين الضّياء والنور ، فيرى أنّ النّور عام يتّصف به القوي والضّعيف ، أمّا الضّياء فهو أخص منه، فنقول مثلاً : نور القمر وضياء الشّمس ، ولم يكن ليتأتّى له هذا التّفسير لولا رجوعه إلى الجانب الصّرفي المتمثل في أصل الكلمة التي اشتق منها المصدر.

5. دلالة القلب:

1.5 في قوله تعالى: ↓ ❑⧫︎☸︎⧫︎ ⧫︎✌︎⬥︎ ❑⧫︎☸︎⧫︎ ☺︎⧫︎⧫︎ ⧫︎⬧︎⧫︎ ⧫︎⧫︎ ... ☎ ↑ (الأنعام:74) قال ابن عاشور :(تتّخ ذ) مضارع (اتّخذ) ، وهو افتعال من الأخذ، فصيغة الافتعال فيه دالة على التّكلف للمبالغة في تحصيل الفعل ، قال أهل اللّغة : قلبت الهمزة الأصلية تاء لقصد الإدغام تحقيقًا ، وليبيّنوا الهمزة، ثم اعتبروا التّاء كالأصلية."[2]

---

[1] المرجع نفسه، ج11، ص94.

[2] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج7،ص 312.

فالفعل(اتّخذ) أصله (اتّأخذ) ، وابتعاداً عن الثقل الحاصل ، قلبت الهمزة تاءً ، وأدغمت في التّاء التي سبقتها ، فوقع في الفعل نوعٌ من الشّدة والقوة ، وقد تمكّن ابن عاشور من تبيان ذلك بالاستعانة بما قدّمه الدّرس الصّرفي.

2.5 في قوله تعالى: (**الأنعام: 125**)، يقول ابن عاشور :" يصّعّد بتشديد الصّاد وتشديد العين ، على أنّه يتفعّل من الصّعود ، أي يتكلّف الصّعود، فقلبت تاء التّفعّل صادًا لأنّ التاء شبيهة بحروف الإطباق، فلذلك تقلب طاءً بعد حروف الإطباق في الافتعال قلبًا مطردًّا...، فإنّه أُريدَ تخفيف أحد الحروف المتحركة المتوالية من (يتصعّد)، فسُكّنت التاء ثم أدغمت في الصّاد ."[1]

يرى ابن عاشور أنّه ثمة ظاهرة صرفية حدثت في الفعل(يصّعّد)، فهو مشتق من الصّعود، على وزن (يتفعّل) ، فبحسب هذه الصّيغة يكون الفعل من(الصّعود) هو (يتصعّد)، غير أنّ ابن عاشور بنظرته المنطقية وبرجوعه –لتعليل ذلك- إلى المستوى الصّرفي ، يرى أنّ هناك قلب للتاء إلى الطّاء، فهذان الحرفان متقاربان في المخرج ،كما أنّهما يمتلكان الصّفة نفسها وهي :الإطباق، فحصل بإدغامهما يُسر وسلاسة في النّطق ، وكما نجم عن هذه الظّاهرة السهولة، نتج عنها قوة في الدّلالة، وهي إظهار لتكلّف في الصّعود وصعوبته، فهذا التّحول الصّرفي أدّى إلى تحوّل دلالي أكثر وقعًا في النّفس.

3.5 في قوله تعالى: (الصّافات:08) يقول ابن عاشور في تفسيره:" لا يسّمّعون : تشديد السّين وتشديد الميم مفتوحتين دليل على أنّ أصله (يتسمّعون)، فقلبت التّاء سينًا توصلاً إلى الإدغام ، والتّسمّع ، طلب

[1] المرجع نفسه،ج08، ص59،60.

السّمع وتكلّفه ، فالمراد: السّمع المباشر، وهو الذي يُتهيأ له ، إذا بلغ المكان الذي تصل إليه أصوات الملإ الأعلى ، أي أنّهم يُدحرون قبل وصولهم إلى المكان المطلوب."[1]

في هذه الآية كذلك يرى ابن عاشور أنّ الفعل (يسّمّعون) وقع فيه ما يسمّى بالقلب، وهي حالة صرفية مكّنته من معرفة التغيير الحاصل في الفعل، ومن ثَمّ تفسير الآية تفسيرا لا يخلّ بالمعنى الصّحيح ، ولا يُنقص من دلالته المنشودة في النّص القرآني، فاستعمال فعل (يسّمّعون) ، لم يكن من قبيل إرادة التّعبير فقط ، وإنّما يُحيل إلى تعمّد السّمع و التّنصت وتكلّفه وربما بدون جدوى لحرمانهم من ذلك ، فالجّن يسترقون السّمع استراقًا لعلمهم بأنّهم لن ينبئوا به إلاّ بتخطفهم إيّاه ، وهذا ما استشعره ابن عاشور اعتمادًا على تحليل بنية الفعل تحليلاً صرفيًا ، كاشفًا عن معناه ومفسّراً له.

6. دلالة التّعدية بالتّضعيف:

1.6 في قوله تعالى: ↓ ✡♦❽☐✌♦ ⇱♦◼■⓿⬂①☙ ✂☞☜♐⬂▤☝✌♦◷◨❁

▢☜☜☞☜♐⬂•▢⬚☑☹♋⚐ ✍ ⚛❁◷⇱⚖⑨❁♋☜☝ ♋☜☹☐♋♐ ♦✓⬀✓×♦ ③♦⑨▢③⬀❍♋ ▢♦▢⊔☐✡❽♦♦✌♦ ✂☜☜♐✱▢⬃❻♦▢⌂▢• ▢♦✂☜☜❞✝♑♈⬁⓿⬂•⬀▩⬁ ↑

(آل عمران،03)، قال ابن عاشور: " العدول عن التّعدية بالهمز إلى التّعدية بالتّضعيف ، لقصد ما عُهد في التّضعيف من تقوية معنى الفعل، فيكون قوله: ↓ ✡♦❽☐✌♦ ⇱♦◼■⓿⬂①☙

↓ ✡♦❽☐✌♦ ⇱♦◼■⓿⬂①☙ ↑ **أهم من قوله:** ↓ ▢♦▢⊔☐✡❽♦♦✌♦

✂☜☜♐⬂▤☝✌♦◷◨❁ ▢♦✂☜☜❞✝♑♈⬁⓿⬂•⬀▩⬁ ↑ ، للدلالة على عظم شأن نزول القرآن ."[2]

هذا استدلال من ابن عاشور عمّا يحمله التّضعيف من تقوية للمعنى، وهذا ما نلمسه في الفعلين (نزّل) و(أنزل) فالأول (نزّل) يُبدي لنا عظم شأن ما نُزّل ، وربما كان فيه إيحاء على أنّه نزل نزولاً مفرقًا ومنجمًا محاطًا بظروف معيّنة وأحداث صاحبته ،أمّا الثاني (أنزل) فيوحي لنا أنّ ما أنزل كان

[1]ابن عاشور، التحرير والتّنوير ، ج23،ص 97.

[2] المرجع نفسه، ج03، ص148،147.

أقل شأنًا ممّا نزّل ، وربما قصد من ذلك أنّه نزل نزولاً عاديًا مباشرًا غير متكلّف فيه، وهذا الاستنباط مرّده إلى فهم البنية الصّرفية لكلٍّ من الفعلين.

2.6 في قوله تعالى: 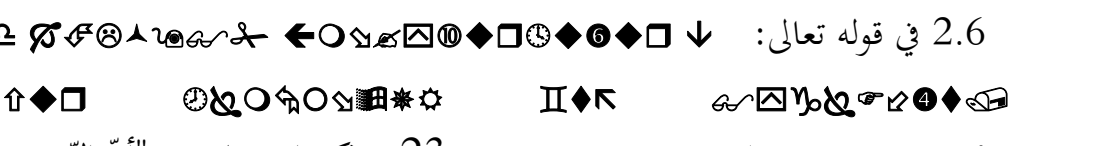 ((يوسف:23)، ذكر ابن عاشور :"أنّ التّضعيف كان لإفادة شدة الفعل وقوّته ، أي أغلقت إغلاقًا محكمًا."[1]

الواضح من تفسيره أنّ معرفة صيغة الفعل تؤدي إلى فهم كيفية حصوله ، وتتغير قوته بتغيّر هذه الصّيغة وان اشتق من المادة نفسها ، فلفظة (غلّقت) تدل على مدى إحكام الإغلاق ، وأمّا (أغلقت) فلا تدلّنا على القوة ذاتها .

ومن هنا نستنتج أنّ المستوى الصّرفي يصوّر لنا بوضوح الفروق بين الدلالات، وبخاصة في القرآن الكريم، ولهذا اعتمده ابن عاشور في تفسيره ، ورجع إليه في فهم مقاصد الذكر الحكيم.

[1] المرجع السّابق، ج12، ص250.

الفصـــــل الثالث.

أثر المستوى النّحوي في تفسير النّص القرآني.

1. المستوى النّحوي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم .
2. نماذج لأثر المستوى النّحوي في تفسير النّص القرآني (تفسير التّحرير والتّنوير لاطاهر ابن عاشور)

المبحث الأول: المستوى النّحوي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن الكريم.

شغل المستوى النّحوي (التركيبي) حيّزا واسعا في الدراسات اللغوية قديما وحديثا، وقد نال حظا وافرا من اهتمام المفسرين بل هناك من يرجع البدايات الأولى للنّحو إلى ظهور اللّحن في القرآن الكريم، وسنأتي إلى بيان ذلك في نشأة النحو.

1.مفهوم النّحو:

1.1 لغة: لقد عرّف النّحو في لسان العرب عند ابن منظور:" أنّه القصد والطريق، نحاه ينحوه ينحاه نحوا وانتحاه، ونحو العربية منه إنما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من الإعراب وغيره."[1]

أي هو الطريق والجهة والجانب، وعلم النحو علم إعراب كلام العرب، وسمي هكذا لأن المتكلم ينحو به منهاج كلامهم إفرادا وتركيبا.

2.1 اصطلاحًا : ذكر السيوطي فقال: «حدّ النحو في الاصطلاح: عبارة عن العلم بالأحكام المستنبطة من استقراء كلام العرب، أعني أحكام الكلم في ذواتها وما يعرض لها بالتركيب فأحكام الكلم في ذواتها: هو المبحوث عنه في التصريف، وما يعرض لها بالتركيب: هو المبحوث عنه في الإعراب، ويطلق النحو إطلاقا آخر على: ما يرادف الإعراب المقابل للتصريف». [2]وعرّفه أبو عثمان ابن جني أنه: «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم».[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب،المرجع السّابق،ج15، ص309، 310.

[2] الحاوي للفتاوي جلال الدين السيوطي، ، ص 269-270.

[3] أبو عثمان ابن جني، الخصائص، المرجع السّابق،ج1، ص34.

إذن فالنحو في عمومه هو الطريق المتبع والمنهج الذي يسلك لمعرفة القواعد التي تحكم كلام العرب وتضبط استعمال لغتهم، وقد علم بأن العرب منذ الجاهلية كانوا يتكلمون على السليقة أي أنّ لغتهم كانت سليمة من دون اللجوء إلى علم يقيد استخدامها ، إلى أن ظهرت بوادر ودواعي استدعت وضع النحو .

2.النّحو في الدراسات اللسانية الحديثة:

عرف المستوى النحوي مصطلحات عديدة في الدراسات اللسانية الحديثة، غير أنها في مجملها تتفق في دراسة مستوى التركيب أو الجملة ، ولذلك ذكر محمود فهمي حجازي فقال: «بناء الجملة أو النحو أو تركيب الجملة مصطلحات مألوفة في الكتابات المعاصرة للدلالة على مفهوم واحد، يتصل بالقواعد التي تحدد نظام الجملة في اللغة ، وتجعلها قادرة على أداء المعنى الذي يريده المتحدث أو الكاتب، فيصل إلى المستمع أو القارئ...».[1]

والمستوى النحوي (Syntax) كما ذكر ماريوباي: «يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية مثل نظام الجملة: ضرب موسى عيسى ، التي تقيد عن طريق وضع الكلمات في نظام معين : أنّ موسى هو الضارب وعيسى هو المضروب».[2]

ويقول محمد يونس علي: «علم النحو أو علم التراكيب (Syntax): يتناول بنية الجمل اللغوية وأنماطها والعلاقات بين الكلمات وآثارها، والقواعد التي تحكم تلك العلاقات، ونظرا لكون التصريف يتناول قواعد بنية الكلمة، والنحو يتناول قواعد بنية الجملة، فقد يطلق على المجال الذي يجمع بين مباحث العلمين: علم القواعد Grammaire».[3]

[1] مفهوم فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللغة،المرجع السّابق، ص 108.

[2] ماريوباي، أسس علم اللغة، المرجع السّابق،ص 44.

[3] محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات،، المرجع السّابق،2004، ص 16.

فالنحو عند المحدثين لا يختلف عن ما هو عليه عند القدامى إلا في بعض المصطلحات ومن اهج البحث والنظريات ، وخاصة فيما يتعلق بالنّحو عند الغرب والذي حاول العرب إسقاطه على النّحو العربي للإفادة منه.

3.نشأة علم النحو العربي:

اجتمعت أقوال جميع العلماء قديما وحديثا على أن نشأة النحو العربي كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، وأنّ الدراسات النّحوية قد ترعرعت أساسا في أ حضان القرآن ودارت حوله ، حيث ذكر محمد أحمد مومن ذلك بقوله: «ترجع نشأة النحو العربي ح سب الروايات المتواترة إلى خشية المسلمين على القرآن الكريم من مخاطر اللحن والتحريف، فلمّا سمع الخليفة الثا لث عثمان بن عفان رضي الله عنه بأنّ هناك أناسا يفاضلون بين القراءات سارع إلى جمع كل السور القرآنية في دار حفصة بنت عمر ...واستكتبهم مصحفا جمع بين شمل المسلمين أصبح يعرف فيما بعد مصحف عثمان، إلاّ أن هذا المصحف كان يعوزه الشكل والتنقيط مما أدى إلى انتشار اللحن بين أقوام غير العرب قد دخلت في الإسلام وكان على المسلمين أن يضعوا حلا لهذه المعضلة.[1]

وذكر عبد الله بن يوسف الجديع ما نصّه: «إنّ العجمة حين شاعت في الناس أوجب ذلك أن يسير العلماء إلى تقنين الضوابط لتستقيم الألسنة بتلاوة القرآن، وهذا أصل ما قصدوه، لكنّها صارت قوانين عامة للغة العرب مطلوبة في كل كلام عربي، إذ قُبْح اللحن في كل كلام قد يترتب عليه ضرر كبير، فإن الناس إنما يظهرون مرادهم باللغات فإذا اختلت اللغة فسد الكلام ولم يدرك المراد ومن هنا تأتي أهمية معرفة علوم العربية لتقرأ القرآن كما أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم».[2]

وكلامه هذا يؤيد ما ذكرناه سابقا في أن الدّافع القوي لوضع النحو هو الحفاظ على اللغة عموما من الفساد، وعلى وجه الخصوص الحفاظ على النص القرآني من الخطأ واللحن، ففساد اللفظ يستلزم

[1] أحمد مومن،اللسانيات (النشأة والتطور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص 36.

[2] عبد الله بن يوسف الجديع، المنهاج المختصر في علم النحو والصرف، مؤسسة الريان، لبنان، ط3، 1428هـ/2007م، ص 06.

فساد المعنى، وبالتالي سوء الفهم واختلال الدّلالة المقصودة في النّص، وإذا كان الأمر كذلك فالمستوى النحوي هو من الفروع اللغوية التي لا غنى لمفسر القرآن عنها، فالعلاقة بين النحو والتفسير وطيدة، وقد أكد عبد الله بن يوسف الجديع ذلك حين قال: «يبدوا من السياق التاريخي لنشأة النحو العربي أن نزول القرآن الكريم بلسان عربي هو الذي وجّه الدراسات النحوية وجهة خاصة، فقد انتشر الإسلام في بقاع كثيرة ودخلت فيه أجناس مختلفة من غير العرب، فخلق ذلك أوضاعا اجتماعية وأخرى لغوية دفعت إلى دراسة اللغة وتحليلها، وتكوين تصور واضح لبنيتها وتراكيبها واستعمالاتها وصولا إلى فهم النص القرآني، ولاستعمالها كما نزل بها الوحي، لئلا ينقطع الاتصال بين المسلمين والقرآن الكريم».[1]

وقد ذكر فيما قاله عبد الحميد السيد عن محمد بن سلام الجمحي حين قال: «كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود ال دؤلي...، وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة، ولم تكن نحوية فكان الناس يلحنون ، فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم، ثم صار هذا العلم إلى من بعد أبي الأسود، فزادوا فيه وبينوه ثم جاء زمن التصنيف فصنّفوا فيه وحرّروا، وتعدّدت فيه المدارس وعظُم في معرفته التنافس، وصار هذا العلم لكل أصحاب الفنون آلة لا بد من حوزها».[2]

وهذا دليل آخر على الظروف التي أحاطت بالبدايات الأولى لنشأة النحو العربي على يد أبي الأسود الدؤلي ثم تطور بعده ، فكثرت فيه المصنفات وتعددت مدارسه ، وقد كان يشمل علوم العربية إلى أن اكتسب صفة العلمية وأصبح مستقلا بذاته.

4.وظيفة النحو وغايته :

[1] عبد الحميد السيد، دراسات اللغة في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2004م، ص 164.

[2] عبد الله بن يوسف الجديع،المنهاج المختصر في علم النّحو والصّرف، المرجع السابق، ص 08-09.

يعدّ المستوى النحوي العمود الفقري للّغة وهو هيكلها الذي تبنى عليه وأساسها الذي ترتكز على أعمدته، وقد جاء في الأثر أن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا النّحو فإن بني إسرائيل كفروا بحرف واحد كان في الإنجيل الكريم مسطورا ، وهو: أنا ولّدت عيسى بتشديد اللام فخففوه فكفروا ولذلك قال العلماء بضرورة تعلم النحو: «إذ بمعرفته يُعقل عن الله عز وجل كتابه، وما استوعاه من حكمته واستو دعه في آياته المبينة، وحججه المنيرة وقرآنه الواضح ومو اعظه الشافية وبه يفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره المؤيدة لأمره ونهيه وشرائعه وسننه وبه يفهم في منطقه»».[1]

وقد ذكرت نادية رمضان النجار بعض وظائف النحو وغاياته ومن أهمها ما يلي:

- يمكّن العلم بالقواعد من توخي الصّواب اللّغوي، فالقواعد تفسر الملكة اللّغوية ولا تكونها.
- حدّد القدماء غاية النّحو وفائدته بأنّها :الاستعانة على فهم الكلام والاحترا ز من الخطأ فيه ومعرفة صوابه من خطئه.
- يساعد النّحو على تفسير لغة المتكلم التي يحصلّها بوسائل أخرى.
- يساعد النحو على كشف العلاقات بين الكلمات وترابطها داخل التركيب.
- يميّز النحو بين التراكيب المتشابهة ويحدّد معانيها ودلالتها ، مثل: ما أحسنَ زيدٌ، ما أحسَن زيدًا!، ما أحسنُ زيدٍ؟ وكذلك الحال مع (نحن العربُ)، (نحن العربَ) فالأولى خبر والثانية مفعول منصوب على الاختصاص.
- يبيّن النّحو أيضا نوع الأداة كما في قوله تعالى: ↓ ✁•❶❷❸ ✁⬧⬥☺○○⬥✍↗↓ ✁⬧⬥⬥☺⬧✁⇳ ↑ (الانشقاق: 01) فهناك إذا الظرفية وإذا الفجائية.
- حرص القدماء على دراسة النحو للإحاطة بالنص القرآني وفهمه، وامتلاك ناصيته لاستنباط الحكم الشرعي منه.

[1] خالد عبد الرحمان العك، من أصول التفسير وقواعده، دار النفاس، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، ص 157.

- استعان القدماء بالمعاني النحوية العامة لفهم المعنى الدلالي دون الاقتصار على المعاني النحوية الخاصة.
- أهمية الإعراب في استنباط الحكم الشرعي.[1]

وهذه تمثل أهم الوظائف التي يمكن أن تستخلص من الدراسات النحوية قديما وحديثا، فهي تمزج بين ما كان وما هو كائن أي بين التراث والمعاصرة.

5. مكونات النظام النحوي في اللغة العربي:

كما تناولنا سابقا مكونات النظام الصّرفي في اللغة العربية فإن النّحو أيضا له نظام خاص به يتكون منه، وهو ما أوضحه تمام حسان بقوله: «إن النّظام النحوي للغة العربية الفصحى يبنى على الأسس التالية:

1. طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.
2. مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والإضافة ...إلخ.
3. مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص، والنسبة، والتبعية.
4. ما يقدمه علما الصوتيات والصّرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف.
5. القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.»[2].

فتّمام حسّان يرى أنّ النّظام النّحوي يُبنى أساسًا على معاني نحوية تربط بينها علاقات ، كما يتأثر بالمستويات اللغوية الأخرى كالصّوتي والصّرفي بالإضافة إلى القيم الخلافية بين العناصر.

---

[1] يُنظر: نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الاسكندرية، دت، دط، ص 152.

[2] يُنظر: تمّام حسّان ، اللغة العربية معناها ومبناها، المرجع السّابق، ص178.

6.العلاقات والقرائن النحوية:

يعتبر النظام النّحوي غاية في التعقيد والتشابك، فهو لا يمكن دراسته بمنأى عن باقي المستويات الأخرى كالصّرف مثلا الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من النحو والعلاقة بينهما هي بمثابة احتواء أحدهما للآخر، ولذلك يقول علي زوين: « إنّ التركيب غاية من أهم الغايات التي يس عى إليها الباحث في اللّغة، ولما كانت الجملة تمثل العنصر التركيبي في اللّغات، فإن تحليلها إلى عناصرها الصّرفية ثم إلى عناصرها الصّوتية يقتضي فك هذا التركيب لتصل إلى السّمات العامّة والميزات الخاص ة بكلّ لغة من اللّغات، فالتحليل إذن هو تجزئة ، والتركيب هو جمع هذه الأجزاء، التحليل هو تبسيط للعناصر الأولية والتركيب هو تجميع لهذه العناصر تحت أنماط معينة».[1]

والنّظام النّحوي مجموعة من العلاقات أو القرائن تربط بين أجزائه و هي تنقسم إلى قرائن معنوية وأخرى لفظية.

أما القرائن المعنوية فتتجسد في العلاقات الآتية:

.**علاقة الإسناد**: قرينة لتمييز بين المسند إليه من المسند في الجملة فهي العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل أو نائبه.

قرينة التخصيص: هي قرينة كبرى تندرج تحتها عدة قرائن:

.**قرينة التعدية**: تخصص المفعول به ، قرينة الغائية: تخصص المفعول لأجله ، قرينة المعية: تخصص المفعول معه ، قرينة الظرفية: تخصص المفعول المفعول فيه ،قرينة التحديد والتوكيد: تخصص المفعول

[1] علي الزوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986، ص 72.

المطلق ، **قرينة الملابسة:** تخصص الحال ،**قرينة التفسير:** تخصص التمييز. **قرينة الإخراج:** تخصص الاستثناء.[1]

من القرائن المعنوية أيضا:

.**قرينة النسبة:** وهي أيضا قرينة تندرج تحتها قرائن فرعية وهي معاني حروف الجر، ومعها معنى الإضافة، والنسبة في حروف الجر ، لها العديد من المعاني المتعددة كابتداء الغاية و البعضية والتعليل والمعية والظرفية والملكية.

.**قرينة التبعية:** قرينة معنوية كبرى تندرج تحتها أربع قرائن: النعت، العطف، التوكيد والبدل.[2]

وبالإضافة إلى القرائن المعنوية السابقة هناك علاقات لفظية وتدعى بالقرائن اللّفظية وقد لخصها تمام حسان فيما يلي:

1. **العلامة الإعرابية:**

وسنأتي على تفصيل قرينة الإعراب في المحاور التالية لما لها من أهمية في الدرس النحوي من فهم المعنى والوظيفة النّحوية.

2. **الرتبة:** هي من القرائن المتضافرة على تعيين المعنى ، فهناك الرتبة المحفوظة وغير محفوظة، و الرتبة المحفوظة لو اختلت اختل التركيب باختلالها... ومن الرتب المحفوظة في التركيب أنّ يتقدم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة... ومن الرتب غير محفوظة في النحو

رتبة المبتدأ والخبر ورتبة الفاعل والمفعول به.[3]

[1] ينظر: نادية رمضان النّجار ، القرائن بين اللغويين والأصوليينً، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2015.ص330.

[2] ينظر: أحمد كشك، النحو والسياق الصوتي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006، ص 41-42.

[3] ينظر:طالب محمد اسماعيل، مقدّمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشعري، دار كنوز المعرفة، الأردن، دط، 2009م.ص139.

3. **مبنى الصيغة:** فمعنى الصيغة الصرفية ينبأ عن علاقاتها السياقية، ومثال ذلك أن الفعل الثلاثي اللازم الذي يهمز أو يضعفّ يصير متعديا، ومن هنا تصير الصيغة ودلالتها ذوات أثر نحوي يتمثل في علاقاتهما السياقية.[1]

ومن القرائن اللفظية أيضا:

4. **المطابقة:** تعدّ قرينة المطابقة من القرائن اللّفظية وتكون في العلامة الإعرابية، العدد (الإفراد الثنية والجمع)، الشخص (التكلم والخطاب والغيبية)، النوع (التذكير والتأنيث)، التعيين (التعريف والتنكير).
5. **الربط:** يدل على اتصال أحد المترابطين بالآخر، والربط يكون بين الموصول وصلته وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته، وبين الشرط وجوابه...
6. **الأداة:** الأدوات في مجموعها من المبنيات فلا تظهر عليها العلامة الإعرابية، ومن ثم أصبحت كلها ذات رتبة شأنها في ذلك شأن المبنيات التي تعينها الرتبة على الاستغناء عن الإعراب.
7. **التنغيم:** وهو الإطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق ، فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية ذات أشكال محددة، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي فيه الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنظيمي لجملة الإثبات، وهن يختلفن من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة.[2]
8. **الذكر والحذف:** الذكر قرينة لفظية والحذف إنما يكون بقرينة لفظية ولا يتم تقدير المحذوف إلا بمعونة هذه القرينة.

[1] ينظر:تمّام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها،المرجع السّابق، ص 211.
[2] تمام حسّان، المرجع نفسه، ص 221-226.

9. **التضام:** وهو أن يستلزم أحد ا لعنصرين التحليلين النحويين عنصرا آخرا ،ويسمى التضام هنا (التلازم)، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر، قد يدل عليه بمبنى وجودي على سبيل الذكر أو يدل عليه بمبنى عدمي على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف.[1]

هذه أهم القرائن المعنوية واللفظية التي لا غنى لدارس المستوى النحوي عنها، وقد أشرنا سابقا إلى أن أهم قرينة من هذه القرائن هي الإعراب أو الحركة الإعرابية.

7.ظاهرة الإعراب في اللغة العربية:

نظرا لأهمية الظاهرة الإعرابية جعلها بعض العلماء من أسرار جمال العربية ومصدر تطورها، حيث يقول صبحي الصالح: «ولما أصابت العربية حظا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها ، وأبرز خصائصها، بل سر جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة، لأن الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهم لولا خلاطهم لهم لما لحنوا في نطق، ولا شذّوا في تعبير...».[2]

فبالإعراب تميّز المعاني، ويوضح الكلام، وهو من أبرز خصائص اللغة العربية، ولذلك ذكر ابن فارس بقوله: «فأما الإعراب فيه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين»، وزاد أيضا: «من العلوم الجليلة التي خصت بها الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ...، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه لما مُيّز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد».[3]

وتكمن أهمية الإعراب وتأثيره على المعنى، كما ساقها عبد السلام السيد حامد فيما يلي:

---

[1] تمام حسّان، المرجع السّابق، ص 217.

[2] صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، المرجع السّابق، ص 117.

[3] أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، ص 161.

1. أنّ العلامة الإعرابية قرينة مهمة من القرائن التي تُعين على تحديد المعنى الوظيفي للكلمة في الجملة، وهذا غاية التحليل النّحوي.
2. كون هذه القرينة اللفظية –رغم تضافر القرائن كلّها واستوائها لفظية ومعنوية – يجعل دلالتها أكثر وضوحا، أو على الأقل أكثر جذبا للانتباه إليها عن غيرها في كثير من الأحيان.
3. مبالغة النّحاة الشديدة في الاحتفاء بهذه العلامة ووظيفتها حتىّ جعلوا الإعراب في كثير من نصوصهم مُرادفاً لعلم النحو.[1]

وحديثنا عن الإعراب وأهميته يجعلنا نستحضر العلاقة الوثيقة بينه وبين فهم معنى النص القرآني، ولذلك اهتم المفسرون بهذا المبحث النحوي وجعلوه مُعينا لهم على استنباط الأحكام واستلهام المعاني الصحيحة للقرآن الكريم.

8.الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم:

إنّ دراسة المستوى التركيبي في القرآن الكريم يقتضي بالضرورة بيان وجوه الإعجاز التركيبي في النص القرآني، وهو مستوى أعلى من المستوى الصرفي، فإذا كان هذا الأخير يمثل بنية المفردة، فإن المستوى النّحوي يهتم بهذه المفردة في حالة تركيبها وضمّها مع غيرها، وليس في حالة إفرادها ومن هنا يتبين لنا أنه كما وجدنا إعجازا على مستوى اختيار اللفظة، فإن ضمّها إلى غيرها دون تنافر أو تصادم يمثل مظهرا آخر من مظاهر الإعجاز القرآني، ولذلك يقول محمد السيد شيخوان:« إن دراسة الجملة القرآنية يصّل اتصالا مباشرا بدراسة المفردة القرآنية لأن هذا هو أساس الجملة، ومنها تركيبها، وإذا كان علماء البلاغة يجعلون البلاغة درجات، فإنهم مقرّون دون جدال أن صياغة العبارة القرآنية في الطرف الأعلى من البلاغة هو الإعجاز ذاته، وللإعجاز فيها وجوه كثيرة، فمنها ما تجده من التلاؤم

[1] عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار العلوم، القاهرة، د ط، 2002م، ص61.

والاتّساق الكاملين من كلماتها وبين تلاحق حركاتها وسكناتها، فالجملة في القرآن تجدها دائما مؤلفة من كلمات وحروف وأصوات يستريح لتآلفها السمع والصوت والمنطق».[1]

ويرى مصطفى صادق الرافعي أن كل لفظة في القرآن العظيم تتناسب مع موق عها الذي وضعت فيه في التركيب والذي لا يمكن أن يستبدل بغيره من المواقع، وقد قال مصطفى صادق الرّافعي في هذا الصدد:«كان القرآن في نظمه وتركيبه على الأصل نمطا واحدا في القوة والإبداع، ولا تقع منه على لفظ واحد يُخل بطريقته، ما دامت تنعطف على جوانب هذا الكلام الإلهي، وما دام في موضعه من النظم والسياق، فإذا أنت حرفت ألفاظه من مواضعها أو أخرجتها من أماكنها، وأزلتها عن روابطها حصلت معك ألفاظ كغيرها، كما يدور في الألسنة ويجري في الاستعمال... ورأيت لكلّ لفظة روحا في تركيبها من الكلام... فعلى كل لفظة معنى في الجملة كما أعطتها اللغة معنى في الإفراد، حتى إذا أبنتها وميّزتها من هذه الجملة ضعفت ونقصت، وتب يّنت فيها الوحشة والقلة، شبيه الذي يعرض للغريب إذا نزح عن موطنه وبان من أهله، وكان كلّ ذلك فيها طبيعيا، لأن حقيقة التركيب إنما هي صفة الوحي في هذا الكلام».[2]

والجملة القرآنية لها أثر عظيم في النفس السّوية التي لا تملك بعد تأمل تراكيبها واستشعار معانيها إلا الإذعان والاستسلام، وهذا الوقع العظيم في النفوس البشرية إنما يتأتى لشدة تلاؤمها وتناسقها في نظم فريد لا يُقدر على مضاهاته، فتصوِّر المعنى بأسمى عبارة وأوجزها ،فتقع في القلب وقع الماء البارد الذي يثلج الصدر ، وهذه المعاني النفسية هي التي تحدث عنها محمد محمد داوود حين قال: «والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي، فتصوره بألفاظها لتلقيه في النفس، حتى إذا استكملت الجملة أركانها، برز المعنى ظاهرا،فيه المهم و الأهم، فليس تقديم كلمة على أخرى صناعة لفظية فحسب، ولكن المعنى هو الذي جعل ترتيب الجملة ضرورة لا م عدى عنه ا، وإلاّ اختل البناء وانهار، خذ مثلا قوله تعالى : 🡣
⮛▫✓🙪➔♦☝⬄○■💧 ⮹②🙰✸③🙫🙬◆❒ 🡨⑨🡨🖮⬃➔♦☼ ☒②🙰✸③🙫🙬

[1] محمد السيد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن، المرجع السّابق، ص86.

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المرجع السّابق،ص244، 245.

↑،(الفاتحة:05) ، فترى تقديم المفعول هنا «إياك» ، لأنه موضع عناية العابد ورجاء المستعين، فلا جرم ــوهو مناط الاهتمامــ أن يتقدم كما يتقدم كل ما يُهتم به ويُعنى».[1]

وليس هذا الأمر بغريب على لغة القرآن المحكمة والمنزهة التي تعلو ولا يُعلى عليها مصداقا لقوله تعالى: ↓ [illegible] ↑،(النّجم،.3)، وهذه خاصية من خصائص كلام رب البرية: دقة في التصوير في أوجز عبارة للحصول على ألطف معنى، ومن هنا وبعد هذا التأمل في النص القرآني تتضح لنا المكانة التي يشغلها الجانب التركيبي (النحوي) في القرآن الكريم، وأنه لا يمكن أن يُفهم القرآن العظيم فهماً لا يجانب الصّواب إلا بالتّزود برصيد وباع كبيرين من معرفة لعلوم العربية وبخاصة نحوها، يقول علي أبو المكارم: «إن الحقيقة البارزة في حياة العربية الفصحى، والتي يجب وضعها في الاعتبار في أي بحث فيها وعلى أي مستوى من مستوياتها، وبخاصة مستوى التركيب هو التحامها التحاما، يكاد يكون عضويا بالنص القرآني، وقيمة القرآن مطلقة وليست تاريخية تقتصر به عند مراحل بعينها فكريا واجتماعيا، ومن ثَمّ فإنه يتصف بالبقاء والدّوام، ولذلك فإنّ لغته التي صيغ بها يتحتم أن تكون لها صفة الامتداد».[2]

وهذا من حسن صنيع القرآن الكريم، وقدر جميله على اللغة العربية، فقد منحها صفة الديمومة والاستمرار والبقاء التي يتصف بها، فصار متلُوًّا بها، وأصبحت خالدة به، وكل ذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

والملاحظ أنه حينما نتحدث عن أثر هذا المستوى النحوي في تفسير القرآن الكريم، نجده أكثر ما يتجلى بوضوح في الإعراب أو الحركات الإعرابية، ولذلك ارتأينا أن نركز على تلك الصلة بين فهم النص القرآني والإعراب الذي يعد أهم القرائن النّحوية عند النحويين فضلا عن المفسّرين.

9. أثر القرينة الإعرابية في تفسير النصوص القرآنية:

[1] محمد محمد داوود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الاعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، د ط، د ت، ص215.

[2] علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة، دط، 2005م، ص169.

لقد اهتم المفسرون –عند تفسيرهم للقرآن الكريم – بجميع العلاقات النحوية الكامنة في التركيب للبحث عن المعاني الخفية والدلالات للوصول إلى التأويل الصحيح والفهم السليم للنص القرآني، ولا يخفى ما للحركات الإعرابية من أثر في تغيير المعنى برُمته، ولذلك حاول المفسرون استقصاء هذه الظاهرة النحوية، وأولوها اهتماما زائدا نظرا لعلاقتها المباشرة بنشأة النحو، فقد ذكر إبراهيم عبد الله رفيدة سببا مباشرا لوضع النّحو، فقال:« النحو وضع لعلاج حالة عامة وداء اشترى، حُفظت لنا منه بعض النماذج التي كانت لها صلة بواضع النّحو أو الدّاعي إلى وضعه، أو ما تعلق منها بموضوع له دلالته ووضعه الخاص، وهذا الأخير أكثرها دورانا مع قصة نشأة النحو باعتباره سببا مباشرا لها. وذلك هو قراءة قوله تعالى: ↓ ⇗♎ 🕮□♌□ ✄☞✐⅄ ✍♦❷▩❽✓➚⌧ ✌♓♑♊⌘ ✄☞☜☋☺←⌑⇕❸♒✍♑✓×♦·□♦❻♦☾←□✐➔🕮↖⓵ ↑(التوبة: 08) بكسر اللام من رسوله، وما يؤدي إليه هذا اللحن من فساد في المعنى».[1]

فكان التغيير في الحركة سببًا في تغيير المعنى كليا ، وبالتالي إفساد دلالة النص القرآني يقول صبحي الصالح: «أما ترتيلهم القرآن مُعرَباً، فلا نحسب عاقلا في الدنيا يرتاب فيه، ولم يزعم أحدٌ من العلماء في الشرق والغرب قديما وحديثا، عامية الأسلوب القرآني، أو تجرده من ظاهرة الإعراب لأن ما في القرآن من الألفاظ الصالحة لأن تقرأ رسماً بأكثر من وجه، كان السياق فيه غالبا يُعين قراءاته المثلى، ويُفرض وجهه الأفضل، ولا يُعين قراءة ما إلا تحريك الأواخر بالحركة الإعرابية المناسبة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ↓ ⓵♒✡✵☺⌻☞ ❻♦❸☋⬦⌻✍ ✄☞✐⅄ ✌♑♊⇕ ↖♑☒♦☞❿♑■✍ ✄☞☜☋☾➔↖🖬■☺⌻⓵✵♦➔✄☎ ▤↑ (فاطر:28) فالمعنى نفسه يفرض رفع العلماء فاعلا، ونصب اسم الجلالة مفعولا، لأن المراد حصر الخوف من الله في العلماء، لا حصر الخوف من العلماء في الله، فإنما يخشى الله حق خشيته العلماء العارفون بجلاله».[2]

وقد ساق علي كاظم أسد بعض أقوال العلماء في أهمية الإعراب حيث قال:« ذكر ابن عطية أنّ إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي للشرع"، وجعل الشيخ الطوسي

---

[1] إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية، الجماهيرية الليبية، ج1، ط3، 1990م، ص 36.

[2] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، المرجع السّابق، ص119.

الإعراب أجل علوم القرآن، قال: "وأقول إن الإعراب أجل علوم القرآن، فإن إليه يفتقر كل بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق إذ الأغراض كامنة فيها، فيكون هو المشير إليها والباحث، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه، حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه و مستقيمه حتى يرجع إليه"».[1]

فللمستوى النّحوي –عمومًا– وللإعراب على وجه الخصوص دور بالغٌ في توجيه المعنى ، وتفسير نصوص الذّكر الحكيم ، ونظرًا لهذه الأهمية البالغة لم يهمل المفسّرون –الرّاغبون في فهم معاني القرآن الكريم– هذا الفرع اللّغوي ، واعتمدوه اعتمادًا واسعًا في دراساتهم القرآنية ، وقد كان للنّحو حظٌ وافرٌ من الدّراسة في تفسير التّحرير والتّنوير ، حيث أولى له المفسّر ابن عاشور اهتماماً بالغًا واعتمده في معرفة مقاصد النّصوص القرآنية.

المبحث الثاني: نماذج لأثر المستوى النّحوي في تفسير النّص القرآني (التحرير والتنوير):

لا يخفى على أي باحث أو دارس لمختلف الفروع اللّغوية ما للمستولى النّحوي من أهمية في تفسير الآيات القرآنية ، وقد تبيّن لنا سابقًا أنّ وضع النّحو ونشأته كان سببه أساسًا القرآن الكريم، وذلك

[1] علي كاظم أسد، المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي، الدار البيضاء، النجف (العراق)، ط1، 1428هـ،2007م، ص59،60.

حفاظًا عليه بعد تفشي اللّحن ، وظهور الخطأ لعدم وجود قواعد وضوابط تقيه من التّحريف وتقوّم الألسنة غير العربية ، فصِلة النّحو بالقرآن الكريم لا يُنكرها أحد ، ولذلك ارتكز المفسّرون كثيرًا على ما قدّمه الدّرس النّحوي لفهم آي القرآن العظيم، وقد حذا ابن عاشور حذو من سبقه في ذلك ، وكان لمباحث النّحو العربي –في تفسير– دلالات ، ومن ذلك :

1. دلالة الحركة الإعرابية:

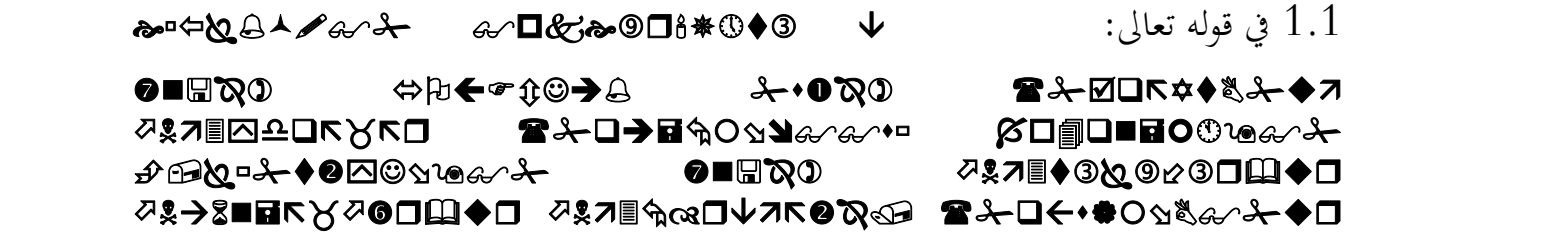

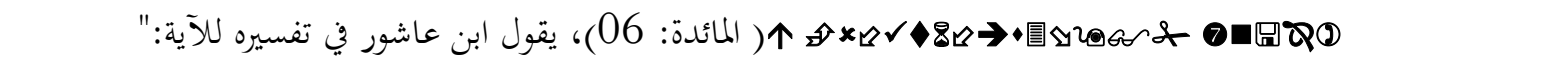

1.1 في قوله تعالى: 🡣 ③♦🕔✵🕯◻⑨🙞🙜◻🙠 ✁🙠🖋▲🔔🙟⇦▫🙞
➐■🖫🙟🕛 ✁⬩➊🙟🕛 ⇦🏱🡠☞⇳☺🡪🔔 ☎✁☑◻⇖✡♦🙟✁♦⬈
⬀🕱⬈▤◻△◻⇖♉⇖◻ ☎✁◻🡪🖬🖎○⬂⬊🙠🙠⬩▫ 🙧◻🗐◻■🖬○🕔🙜🙠✁
🖎🖃🙟▫✁♦➋◻☺⬂🙜🙠✁ ➐■🖫🙟🕛 ⬀🕱⬈▤♦③🙟⑨⬃③◻🕮♦◻
⬀🕱🡪⌛■🖬⇖♉⬀❻◻🕮♦◻ ⬀🕱⬈▤🖎🙘◻🡣⬈⇖➋🙟🖅 ☎✁◻🡠⬩❁○⬂🙟🙠✁♦◻
➐■🖫🙟🕛 ✁🙠🙜⬂▤⬩🡪⬃⌛♦✓⬃✗🖎 🡡(المائدة: 06)، يقول ابن عاشور في تفسيره للآية:"

قوله(أرجلَكم) ، قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بن عاصم، وأبو جعفر ، ويعقوب بالنّصب، عطفًا على(أيديكم)، وتكون جملة (وامسحوا برؤوسكم) معترضة بين المتعاطفين...وقرأه البعض بالخفض(أرجلِكم)، وللعلماء في هذه القراءة تأويلات ، منهم من أخد بظاهرها، فجعل حكم الرّجلين المسح دون الغسل..."[1]

يرى ابن عاشور أنّ للحركة الإعرابية أثرًا بالغًا في تحديد الدّلالة أو تغييرها الجذري ، ولا يقف الأمر عند مجرّد الاتّساع في المعنى، وإنّما يتوقف عليه الحكم الشرعي ، وهذا ظاهر بيّن في هذه الآية القرآنية ، فالقول بالنّصب (أرجلَكم)، يقتضي غسل الرّجلين ، والقول بالخفض(أرجلِكم)، يقتضي مسح الرّجلين ، وهنا يقع الخلاف بين الفقهاء في إطلاق الأحكام ، نظرًا لتعدّد القراءات ، غير أنّ كلّ فريق يرتكز على دلالة الحركة في استنباط الحكم من غسل ، أو مسح، ويبقى السّبيل – للخروج من الخلاف– مردّه إلى السّنة النبوية التي تفصّل ما جاء في القرآن وتبيّنه ، فهاتين القراءتين ليس بينهما تناقض ، وإنّما هما متكاملتان ، حيث أثبتت السّنة أنّ الرّسول (صلى الله عليه وسلم)، غسل رجليه وهو مقيم ، ومسح عند السّفر، فلكلّ حالة حكمها الشّرعي.

---

[1] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج05، ص130.

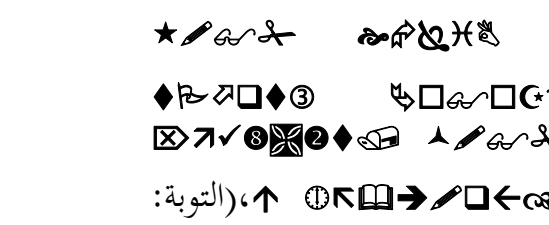

2.1 في قوله تعالى: ↓ ◻◆🕮◻●⧫🕒♌⋖ ✍⌘♓⧫⬀⧫ ⧫✍☞♒★
◻⧫◆⑥⧫◆⬅⧫◻✍⧫🕮♌🕒⧫ ⧫♌♐☞◻⑦ ☞♒⧫⬅◻☾⧫◻♒♓ ③⧫◻⬀⬏⧫
☞♒◻♓⧫◻⧫♌⬅♐☞⧫♌⧫⧫⧫♌⧫ ☞♒⧫✍♐☞⧫⧫ ⧫◻⧫◻ ⧫⧫⧫◻✍☞ ⧫⧫②⧫⑧✓⬈⧫
⌘⧫♓⧫⧫ ☞♒⧫♌⧫⬅⧫⧫⧫♌♌✓⧫⧫ · ◻⧫◆⑥⧫◆⬅✍➔🕮⬉🕒 ↑،(التوبة: 03)، يقول ابن عاشور: "عطف (رسولُه) بالرّفع عند القراء كلّهم، لأنّه من عطف الجملة لأنّ السّمع يعلم من الرّفع أنّ تقديره :(ورسولُه بريءٌ من المشركين)، ففي الرّفع معنى بليغ من الإيضاح للمعنى مع الإيجاز في اللّفظ، وهذه نكتة قرآنية بليغة."[1]

فابن عاشور هنا يرى أنّ رفع (رسولُه) كان لغرض بلاغي ، فقد جمع ذلك بين الإيجاز ، الذي هو من ضروب البلاغة والفصاحة ، وبين إيضاح للمعنى ، فحكم الرّفع جعلنا نفهم أنّ (رسوله) عطفت على جملة (أنّ الله بريء من المشركين) فاتّضح الأمر ولم يقع الالتباس الذي كان سيقع إذا كسرت (رسولِه)، فيقتضي ذلك عطفها على (من المشركين) ، وهذا ما حصل من قصة الأعرابي الذي كان فهمه وتحليله للّغة على السّليقة ، ففهم من الخفض أنّ (اللهَ بريء من المشركين وبريء من رسوله) ، وهذا خطأ واضحٌ أدّى إلى فساد المعنى كلّه ، سببه هو تغيير في الحركة الإعرابية ، إذن فللحركة دور عظيم في توجيه المعنى .

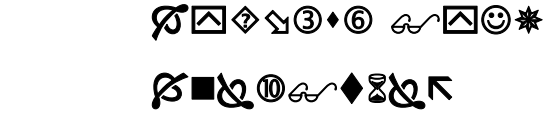

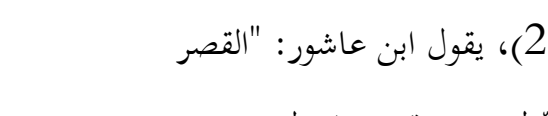

3.1 في قوله تعالى :↓ ⧫⌧⓿⌧🕒♐♌⧫①♐ ▤ ⧫♌☼☸☺⧫⧫ ⑥⧫③⧫⬦⧫⧫
☞♒✍⅄ ✍♓♌⇧ ⬉♌⧫⑩♒♌■⧫
☞♒⧫♌➔⬉⧫■☺⧫🕒☸⧫➔☞☎ ↑▤ ،(فاطر: 28)، يقول ابن عاشور: "القصر المستفاد من (إنّما) قصر إضافي، أي لا يخشاه الجهال ، وهم أهل الشّرك ... وتقديم مفعول (يخشى) على فاعله ،لأنّ المحصور فيهم خشية الله هم العلماء ، فوجب تأخيره على سنّة تأخير المحصور فيه."[2]

يتناول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية ظاهرة التّقديم والتّأخير، أي تقديم المفعول به ، وتأخير الفاعل، وسنشير إلى دلالة التّقديم والتّأخير لاحقًا، إلاّ أنّنا اخترنا هذه الآية للحديث عن دلالة الحركة الإعرابية في توجيه المعنى، لأنّها ارتبطت بالبدايات الأولى لنشأة النّحو، فلولا نصب لفظ الجلالة (

[1] ابن عاشور ، التّحرير والتّنوير، ج10، ص116.
[2] المرجع نفسه، ج22، ص304.

الله) ورفع (العلماءُ)، لفسد المعنى بلا شك، رغم أنّه هناك قرائن أخرى من شأنها أن توجّه المعنى حتّى لو كانت الحركة مقدّرة، ولكن خروجًا من الشبهة جُعلت الحركة ظاهرة تعبّر عن نفسها عن الفاعل، والمفعول وما حدث من تقديم وتأخير لإفادة الحصر.

2. دلالة الحذف:

1.2قوله تعالى: ،(البقرة: 18)، يقول ابن عاشور:" هي أخبار لمبتدأ محذوف ، هو ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير (مثلهم) ، ولا يصحّ أن يكون عائدا على الذي استوقد نارا ...وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال شائع عند العرب، إذ ذكروا موصوفًا بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنّه قد عُرف للسّامع، فيقولون : فلانٌ، أو فتى، أو رجلٌ، أو نحو ذلك، على تقدير هو: فلان..."[1]

بالرّجوع إلى التّركيب الطّبيعي للجملة ، يرى ابن عاشور أنّ هذه الجملة وقع فيها حذف ، أي أنّه ثمة أوصاف (صمٌ، بكمٌ، عميٌ)، لموصوف محذوف ،قدّره بالنّظر إلى ما قبله بالضّمير (هم)، أي: هم صمٌ بكمٌ عميٌ، وهذا الحذف جيء به من قبيل الإيجاز ، ولِما كان للسّامع من معرفة مسبقة بأصحاب هذه الأوصاف ، فابن عاشور بعودته إلى المستوى النّحوي استطاع تفسير هذه الآية ، ومعرفة على من تصدق هذه الأوصاف.

2.2قوله تعالى: (المائدة: 05)، يقول ابن عاشور:" عطف ( )، على ( )

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج01،ص 313.

☎✁❑➔✍❑↑🕮 ✽◼🕔♦✌🕆▤⬂⭘🖎✁ ⮿⮿🙣❍ ✇⋏▤➚🖃✇)، عطف المفرد على المفرد، ولم يعرّج المفسّرون على بيان المناسبة لذكر حلّ المحصنات من المؤمنات في أثناء إباحة طعام أهل الكتاب... وإباحة تزوج نسائهم...، والتّقدير: (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم)"[1]

يرى ابن عاشور أنّ الحذف الحاصل في هذه الآية هو حذف الخبر الواقع بعد قوله تعالى: ↓
☎✁❑➔✍❑↑🕮 ♦×⇦🙣🕭⅄✐🖎✁ ⌘♊🙣✍ ➔♁*🕔❑✡✽🕔⬄⬩⬅✡▫➔🖎✁♦❑
✁🖎⭘⬂▤🕆✌♦🕔◼✽ ✍🙣♊ 🕭⬩⌛🖃✇◼🙣▤➚☠✇ ↑ ، وتقديره :(❍🙣⮿ ⭘⅄▤➚⇱✇)،
تجنبًا للتكرار، وكذا لما للحذف من أغراض بلاغية ، تعبّر عن مدى تماسك النّص القرآني ، وتناسقه بما قبله، وهذا ظاهر بيّن في كلّ نصوص القرآن العظيم: سبكها في نظام محكم بما قبلها وما بعدها، ونحوه قوله تعالى: ↓ 🕮↑🖹➔◼➔♑⮹🖎 ⑩⮹✁✐✶⛒🏱⛒ ❑♦⬅🙣◼🙣♑⮹🖎 ↑
(الرّعد: 35)، فالمحذوف هنا خبر (ظلّها) والتّقدير (ظلّها دائم)، وظاهرة حذف الخبر في القرآن الكريم وقعت في مواضع كثيرة ، وهي ظاهرة نحوية لأغراض بلاغية.

2.3قوله تعالى: ↓ ❑♦×⬽❼ ✍⇱❑☙⮹⛒✁ ◑⬽❶⬂ 🕮❑❻✇⭧⮹◼▫✡❑🕔❍⬅
◑⬽🖫■❼🗐 ▫🙣❷✇⇱♦❑✇♌♦ 🗀⬽❍⬖◼⊃⬩🕔♊⭘ ✍⑩🖮⬽✓×🕮 ↑ (الذاريات: 38)، يقول ابن عاشور:" والتّقدير: (وتركنا في موسى آية)، فهذا العطف من عطف جملة على جملة، بتقدير فعل: (تركنا)، بعد واو العطف،... فيكون التّرك المقدّر في حرف العطف مرادًا به جعل الدّلالة باقية."[2] في الآية الكريمة ، قدّر ابن عاشور أنّ الحذف واقعٌ في بداية الآية ، وقد دلّ عليه ما قبله في قوله تعالى: ↓ ❑♦✍⬩❷♦🗊⬂✡❑🖎 ▫🙣❸🙵❑🖎✐ ➚♦✁❸♦❑☪
⭘🙪🙣✁⅄🕭🙣⇦×♦ ⑥⬩③⬩🖎▫➔❑♌♦ ✁🖎⭘⬂➔⮹❶⊠✁⚇⌘
✁🖎❀☛⭘🙣➚☹♦ ↑، ولذلك قدّر هذا الفعل بِ(تركنا).

2.4في قوله تعالى: ↓ ❑♦⇱♦🖎⑩✡✁ ❑♦🏱❑☺⬅❑⑩⮹✁☎ 🕭⬩⑨
✍❑🖮♦✓❑▫☙ ⭘⬩⌛➔☠ ✍⛏🙣♊ ✍❑❍✽🕔⌛🕆✡🙣♑⬽☠✇ ↑، (العنكبوت: 38)، يقول ابن عاشور:" وانتصاب (عادًا)، يجوز أن يكون بفعل مقدّر يدل عليه السّياق، تقديره: (أهلكنا

[1] المرجع نفسه، ج.6، ص123.
[2] ابن عاشور، التحرير والتّنوير ، ج27، ص09.

عادًا)، لأنّ قوله تعالى: ↓ ▫•♁❒⌘◰⓿☒✍⍂♑←☼●↖ ✂☞☜⓪⓿▪♉⇳▦☒□➔ ↑،يدلّ على معنى الإهلاك، قاله الزّجاج والزّمخشري، ومعلوم أنّه إهلاك خاص من بطش الله تعالى، فظهر تقديره: (وأهلكنا عادًا)، ويجوز أن يقدّر الفعل...ويجوز أن يكون معطوفًا على(فأخذتهم الرّجفة)، والتّقدير(أخذت عادًا الرّجفة."[1]

كلّ الوجوه والتّأويلات التي ساقها ابن عاشور سواءً ممّن سبقه من المفسرين ، أم ما كان من اجتهاده، مقبولة لأنّها تدّل على معنى واحد ، وهو معنى الإهلاك والعذاب، غير أنّه كان يميل إلى تقدير الفعل المحذوف ب (أخذت)، لما دلّت عليه الآية السّابقة ، وابن عاشور-كعادته- برجوعه إلى المستوى التّركيبي للنّص المذكور ، اتّضح له هذا الحذف ، وبمزاوجته بين التّركيب والمعنى قدّره وفقًا للسّياق الذي ذُكر فيه.

3) دلالة التّقديم والتّأخير:

في قوله تعالى: ↓ ▫•▦☒❷⌧③◑☪☞ ✍☒⓿⊙◚⬀↓↗☹⬃ ❒◆▫•❷⌧③◑☪☞ ↑،(البقرة: 87)، يقول ابن عاشور:" تقديم المفعول به هنا لما فيه من الدّلالة على التّفصيل ، فناسب أن يقدّم ليدلّ على ذلك ، كما في قوله تعالى: ↓ ▫•❷⌧③◑◷☞ ♎◷⑨◰❽▤ ◯◰◫❒ ❒◆▫•❷⌧③◑◷☞ ↖◆▣■❸⬀🙰⌀☠↖ ✂☞☜⌀·▣■◷✂•♁↗ ↑، وهذا استعمال عربي كثير في لفظ (فريق) وما في معناه، نحو (طائفة)، إذا وقع معمولاً لفعل في مقام التّقسيم، نحو قوله تعالى: ↓ ③♦⬄⍂⬦◰⌀▤▪ ☪•☞✎✶⌀▦☒□☪ ✋⌘♅☪▤↗☠⬀ ☎ ❒◆☪•☞✎✶⌀▦☒□⋖ ♁•⑨⇳ 🕮❒♎◰☺●☺⬃🙰⬋☠⬀ 🕮❒☼▦➔◯←🙰⬋☠⬀ ↑☙."[2]

في هذا الموضع يرى ابن عاشور أنّ تقديم المفعول على فعله وفاعله أمر شائعٌ لدى العرب، وفي هذا المقام يوحي المعنى إلى التّفصيل ، فكان تقديم المفعول أولى من تأخيره لاقتضاء الحال ذلك.

4.دلالة القرائن:

1.4 القرينة اللفظية:

[1] المرجع نفسه ، ج30، ص540.

[2] ابن عاشور، التّحرير والتنوير، ج01، ص598.

.قوله تعالى: ↓ ♎︎➔⍓︎ ⌘︎♋︎❒︎■︎⬧︎◻︎ ⧫︎◆︎⧫︎◆︎♓︎☜︎←■︎➔❑︎♌︎⧫︎ 🕮︎❑︎✡︎⌫︎▬︎♐︎⑩︎◆︎⬀︎⬈︎⬉︎⬈︎◆︎
⬈︎⬉︎⬈︎★︎ ♌︎♋︎♓︎ ⏀︎⬀︎⬉︎↖︎ ⬀︎♐︎♌︎ ♋︎☜︎✡︎⬈︎♐︎ ♋︎⬀︎⑩︎⬀︎♌︎⬈︎ ⬉︎✓︎⬉︎↑︎،(البقرة: 91)،

يقول ابن عاشور:" الإتيان بالمضارع في قوله:(تقتلون)، مع أنّ القتل قد مضى ، لقصد استحضار الحالة الفضيعة ، وقرينة ذلك قوله :(من قبل)، فذلك كما جاء به الحطيئة بالماضي مرادًا به الاستقبال في قوله: شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه   أنّ الوليد أحق النّاس بالعذر، بقرينة قوله: (يوم يأتي ربّه) ."[1]

فالقرينة اللّفظية (من قبل) ،هي التي أوضحت لنا الدّلالة الزّمنية للفعل، فرغم أنّه وضع في زمن المضارع ، إلاّ أنّه قصد من دلالته الماضي، وتصوير ذلك في المضارع يرسم لنا مدى شناعة تلك الأحداث التي وقعت ، حتّى وكأنّنا نراها في الحاضر رأي العين، وهذا التّصوير لم يكن ليتأتّى لنا فهمه إن لم تكن ثمّة قرينة تدّل عليه.

2.4 القرينة العقلية:

. قوله تعالى: ↓ ◻︎◆︎⬀︎♓︎⬧︎⧫︎ ⬈︎⬉︎♓︎⌘︎ ⬈︎⬉︎⇔︎☝︎←⇕︎➔⬀︎▦︎➔◻︎⬈︎☎︎
♓︎⬉︎⬈︎⬉︎⬀︎⇦︎✗︎⧫︎ ⬈︎⬉︎⇔︎☞︎⧫︎▤︎⬀︎♍︎⬁︎❸︎←◻︎⬈︎☎︎ ⬀︎⧫︎⬀︎ ⬈︎⧫︎▤︎⬀︎❷︎↖︎
⬈︎⬉︎♍︎⬀︎⓿︎⬀︎♌︎⬀︎ ◻︎◆︎⬈︎⬉︎♍︎♓︎✡︎◻︎♑︎⬁︎⬉︎❻︎⌀︎↑︎⬀︎ (سبأ:33)، يقول ابن عاشور:" أصل الكلام (يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا ،لولا أنتم لكنّا مؤمنين، إذ تأمروننا باللّيل والنّهار أن نكفر...)، و(مكر الليل والنّهار) من الإضافة على معنى (في)، وهنالك مضاف إليه ومجرور محذوفان ، دلّ عليهما السّياق، أي: مكركم، والمعنى : ملازمتهم المكر ليلاً ونهارًا ، وهو كناية على دوام الإلحاح عليهم في التّمسك بالشّرك."[2]

ففي هذه الآية أُسند المكر إلى الليل والنّهار ظاهريًا ، أي في البنية السّطحية للتّركيب، غير أنّ بنيتها العميقة تدلّ على أنّ المكر ليس منسوبًا إلى اللّيل ولا إلى النّهار، وإنّما المقصود في زمنهما، فثمة حذف لحرف الجر يُفيد وقوع الحدث فيهما لا من طرفهما ،ودلّ على هذا الاستنباط قرينة عقلية ، ارتكز عليها ابن عاشور في تفسيره للآية.

[1] المرجع نفسه ، ج01، ص608.
[2] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير ، ج22، ص208. 209.

.كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾(البقرة:93)، قال ابن عاشور في تقسير الآية:" اشتهر المعنى المجازي ، فهجر استعمال الإشراب بمعنى السّقي، وذكر القلوب قرينة على أنّ إشراب العجل على تقدير مضاف من شأن القلب، مثل عبادة العجل ، أو تأليه، وإنّما جُعل حبّهم إشرابًا لهم للإشارة إلى أنّ مبلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه..." [1]

في هذه الآية أيضًا حذف مقدّر دلت عليه قرينة عقلية، ففي الشّق الأول : استعمل لفظ الإشراب للقلب بالمعنى المجازي للدلالة على أنّ الأمر قد تفشى في القلب وتغلغل فيه ، وكأنّه قد أشربه، أمّا في الشّق الثاني ، فقد استعمل لفظ العجل في هذا الإشراب ، والذي ذكرنا أنّه مجازي ، وهو مختص بأعمال القلب، لذلك فهو معنوي وليس محسوسًا ، فالرّاجح إذن أنّ حبّ العجل أو عبادته هو الذي تمكنّ من قلوبهم ، وهذا ما استنبطه ابن عاشور في خُلاصة تفسيره للآية، ومرجع ذلك كلّه إلى القرائن النّحوية المتضافرة فيما بينها للوصول إلى دلالة التّركيب، وبإدراكه لهذه الحقيقة ، حاول ابن عاشور الاستفادة ممّا يقدّمه الدّرس النّحوي لتفسير القرآن العظيم ، بصورة صحيحة ومعقولة لا تتنافى مع دلالة التّركيب ، و هذا بارز بوضوح في تفسيره ، وذلك إن دلّ على شيء فهو يدلّ على ما للمستوى النّحوي من أثر في تفسير النّص القرآني.

[1] المرجع نفسه ، ج01، ص612.

1. المستوى الدّلالي: موقعه من الفروع اللّغوية وعلاقته بالدّراسات القرآنية.

2. نماذج لأثر المستوى الدّلالي في تفسير النّص القرآني (تفسير التّحرير والتّنوير لاطاهر ابن عاشور).

الفصل الرّابع.

أثر المستوى الدّلالي في تفسير النّص القرآني.

المبحث الأول :المستوى الدلالي (موقعه من الفروع اللّغوية وعلاقته بالدّراسات القرآنية).

إنّه لمن الصّعوبة بمكان فصل المستوى الدّلالي في مبحث خاص عن المستويات الأخرى ، لأنّه لا يمكننا تصور أي فرع من فروع اللّغة بمنأى عن معنى أو دلالة ، فكلّ تغيّر يحدث على مستوى : صوت أو بناء كلمة أو تركيب جملة، إلاّ وله دلالة معيّنة ، تختلف كلّ الاختلاف عن غيرها ، وبخاصة في القرآن الكريم ، لأنّ كلّ لفظة فيه ، إلاّ وقد خصّصت في مكانها الذي لا يمكن أن تخلفها فيه

أخرى، وكلّ ذلك لحكمة معيّنة ، قد نعلمها ، وقد نجهلها ، لكنّنا نؤمن بها ونوقن بإعجازها ، وقد سعى أهل التّفسير إلى ربط نصوص الذكر الحكيم بمقاصدها ، وذلك بالتّطرق لدلالاتها ، وفي ذلك ذكر علي مهدي زيتون: "ارتبطت التجربة العربية في عملية استكناه دلالة النّص بنزول الوحي: كلام الله ، فقد احتاج المسلمون إلى معرفة دلالة النّص القرآني منذ أول عهدهم بالإسلام لكي يكونوا على بيّنة من أمر عقيدتهم وسلوكهم ومعاملاتهم ... والتّفسير مرتكز حسب لغة العصر إلى علمين مستقلين: الأول: علم الدّلالة (السيمانتيك) ، حيث يتحكّم النّظام اللّغوي معجماً وتصريفًا بتحديد الدلالة الواحدة التي يحتملها النّص ، والثاني: علم العلامات (السيمولوجيا أو العلامية) ... والدّلالة التي نبحث عنها في النّص القرآني، سواءً احتجنا إلى التّفسير أم إلى التّأويل هي الدّلالة التي أودعها الله في نصّه."[1]

فالدّلالة في التراث العربي اتّصلت اتّصالاً وثيقًا بتفسير القرآن الكريم لمعرفة معانيه والوصول إلى مقاصده.

1. تعريف علم الدّلالة :

1.1 لغة: جاء في لسان العرب:" الدّلالة والدُّلالة: اسم مصدر من دلّ ...الدّال والدّليل: المرشد والكّاشف ، وقد دلّه على الطّريق ، يدلّه دَلالة ودِلالة ودُلالة."[2]

وقد عرّفها الزّمخشري بقوله:" دلّه على الطّريق ،... وأدللت الطريق اهتديت إليه... ، والدّال على الخير كفاعله ، وأدلة على الصّراط المستقيم ، وتناصرت أدلة العقل ، وأدلة السّمع ، واستدل به وعليه."[3]

فالمعنى اللّغوي للفظة(دلالة) يُحيلنا إلى الطّريق ، والنهج ، والمنهج المتّبع ، والسبيل للوصول.

---

[1] علي مهدي زيتون ، الإعجاز وآلية التّفكير النّقدي عند العرب،المرجع السّابق، ص213.

[2] ابن منظور، لسان العرب،المرجع السّابق، ج11، ص249.

[3] أبو قاسم جار الله الزّمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان،ج1، ط1، 1998م، ص295.

2.1 إصطلاحًا: يعرّفها السيّد الشّريف الجرجاني(ت،816 هـ):" الدّلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول : هو الدّال ، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللّفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصور في عبارة النّص واقتضاء النّص..."[1]

فقد ربطها الشّريف الجرجاني بدلالة اللّفظ على معنى محدّدة، بالإضافة إلى إشارته الواضحة إلى عناصر الدّلالة : الدّال والمدلول، وتعريفه هذا قريب جدّا إلى ما ذهب إليه (دي سوسير) في دراسته للدّلالة.

2. علم الدّلالة في الدّراسات اللّسانية الحديثة:

لقد عرّف علم الدّلالة أنّه:" اللّفظة التّقنية المستعملة للإشارة إلى دراسة المعنى، وبما أنّ المعنى جزءٌ من اللّغة ، فإنّ علم الدّلالة جزءٌ من علم اللّسانيات ، ولسوء الحظّ ، فإنّ المعنى يغطي جوانب عديدة للّغة ، وليس هناك اتّفاق عام حول طبيعة المعنى، وجوانبه التي يمكن أن يشملها علم الدّلالة أو الطّرق التي يمكن أن يوصف بها المعنى."[2]

ورغم أنّ علم الدّلالة قد أطلق عليه عدّ تسميات ، بعضها من صميم اللغة العربية ، وآخر معرب عن لغات أخرى ، إلاّ أنّها في جوهرها تتناول قضية المعنى، وما يتعلّق به ، وتحاول الوصول إلى مقصدية المتكلّم ودلالات النّصوص ، ولهذا شدّد أحمد مختار عمر على وجوب التّمييز بين علمي : المعنى، والمعاني، تحرزّا من الوقوع في خلط بن الفرعين، وقد قال في هذا الصّدد:" علم الدّلالة أطلقت عليه عدّة أسماء في اللّغة الإنجليزية ، أشهرها الآن كلمة (Semantics) ، أمّا في اللّغة العربية فبعضهم يسمّيه (علم الدّلالة)، وتضبط بفتح الدّال وكسرها ، وبعضهم يسّميه (علم المعنى) ، ولكن حذار من استخدام صيغ الجمع، والقول (علم المعاني) ،لأنّ هذا الأخير فرع من فروع البلاغة ، وبعضهم يطلق عليه اسم (سيمانتيك) أخذا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية."[3]

3.مكانة علم الدّلالة بين الفروع اللّغوية:

[1] محمد السيّد الشريف الجرجاني، معجم التّعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص91.

[2] أف آر بالمر، علم الدّلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، مكتبة الجامعة، بغداد، د.ط، 1985م، ص03.

[3] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط5، 1998م، ص14.

ذكرنا سابقًا أنّ دراسة الجانب الدّلالي ، لا يمكن فصله عن باقي الفروع اللّسانية الأخرى ، ذلك أنّ هذا المستوى من أهمها على الإطلاق ، يقول فتح الله أحمد سليمان:" يعدّ المبحث الدّلالي في المفردات ودلالتها من أهم الفروع التي يبحثها علم اللّغة(linguistics) ، وإذا كان علم اللّغة يدرس الكلمة من جوانب أربعة، هي:بناء الكلمة، بناء الجملة ، والأصوات، والدّلالة ، فإنّ هذا الجانب الرّابع هو الأكثر أهمية ، من حيث أنّه يجمع الجوانب الثلاثة الأخرى في إطار واحد ، كي تكون خادمة له، من أجل إفراز معنى ما يتمخّض عن تحليل البنية اللّغوية للجملة."[1]

4. الدّلالة في التراث العربي:

إنّ حديثنا عن المستوى الدّلالي في التراث العربي ، يرتبط ارتباطًا تلقائيًا بالعلوم القرآنية ، فقد كانت الدّراسات اللّغوية تتمحور أساسًا حول القرآن الكريم، وكان المركز الذي ينطلق منه البحث اللّغوي على اختلاف فروعه ، وإلى ذلك أشار أحمد حساني بقوله: " من مميّزات التراث العربي أنّه يتمركز حول الوحي(القرآن الكريم) بأبعاده الرّوحية والاجتماعية والعلمية واللّسانية، إذ منذ نزول القرآن الكريم ، كان التّأمل في العلامة واعتبار دلالتها بالنّظر والتّدبر والتّفكير في بدئها ومآلها ، وقد يتّضح ذلك من خلال التوجيهات القرآنية الآتية ، في قوله تعالى :

(الحجر:75)،

وقوله تعالى:

(النحل: 16)، وقوله تعالى:

(الحشر:02)، في رحاب هذا التّوجيه القرآني ، كان التّعامل

مع العلامة من أجل تفسير دلالتها الكونية والاستدلال بحاضرها على غائبها."[2]

وهذه العلاقة الوثيقة بين علوم اللغة والنّص القرآني ، كانت أساسًا لفهم مقاصده ، وبيان مراميه في سبيل وضع القواعد ، لاستنباط الأحكام الشرعية، وفي ذلك يقول عادل فاخوري:" لما كانت علوم

[1] فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412هـ، 1991م، ص05.

1 أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات(الصّوتي، الدّلالي، التّركيبي)، منشورات كلية الدّراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتّحدة، ط2، 1434هـ، 2013م، ص252 .253.

الدّين تهدف إلى استنباط الأحكام الفقهية ووضع القواعد الأصولية ، اهتم العلماء بدلالة الألفاظ، والتّراكيب ، وتوسّعوا في فهم معاني نصوص القرآن والحديث، واحتاج ذلك منهم إلى وضع أسس نظرية ، فيها من مبادئ الفلسفة والمنطق ، ما يدلّ على تأثر العرب بالمفاهيم اليونانية."[1]

وأضاف أيضًا بقوله: " فالأبحاث الدّلالية في الفكر العربي التراثي، لا يمكن حصرها في حقل معيّن من الإنتاج الفكري ، بل هي تتوزّع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم ، لأنّها مدينة للتّحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه ، والتّفسير والنّقد الأدبي ، والبيان."[2]

فهو يرى أنّ دراسة دلالة النّصوص عموماً والقرآنية على وجه الخُصوص ، تفاعلت فيه علوم مختلفة ، أسهمت للوصول إلى المعنى، وإلى هذا أشار فايز الدّاية في أنّ التّلاقح بين هذه العلوم النّظرية واللّغوية ، هو الذي أنتج ذلك الفكر الدّلالي العربي، الذي أرسى قواعد تعدّ الآن المنطلقات الأساسية لعلم الدّلالة ، وعلم السيمياء على السّواء ، بل إنّك لا تجد كبير فرق بين علماء الدّلالة في العصر الحديث، وبين علماء العرب القُدامى الذين ساهموا في تأسيس وعي دلالي، يمكن رصده في نتاج الفلاسفة واللغويين، وعلماء الأصول والفقهاء والأدباء، فالبحوث الدّلالية العربية تمتد من القرون: الثالث والرّابع والخامس هجرية إلى سائر القرون التّالية لها، وهذا التّاريخ المبكّر ، إنّما يعني نُضجًا أحرزته العربية، وأصّله الدّارسون في جوانبها.[3]

فالأبحاث والدّراسات الدّلالية عند العرب امتدت جذورها إلى قرون خلت ، محرزة بذلك تقدّمًا كبيرًا في الدّراسات العربية ممّا أدّى إلى بروز وعي ونُضج في جميع الفروع المتّصلة بعلم اللّغة ، ومنها : علم التّفسير، فقد كان تأثره واضحًا بهذا المستوى اللّغوي.

5. أنواع الدّلالة:

[1] عادل فاخوري، علم الدّلالة عند العرب، دار الطّليعة، بيروت، ط2، 1994م، ص15.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] ينظر: فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي(النظرية والتّطبيق)، دار الفكر ، دمشق، ط2، 1996م، ص06.

هناك عدّة أنواع من الدّلالات تختلف باختلاف العلم الذي تُدرس من خلاله ، وعلى كلٍّ فهناك أنواع تتعلّق باللّفظ ذاته، وأخرى تخرج عن إطار الملفوظ، وتتجاوزه إلى ما يُحيط به ، فأمّا ما تتصل باللّفظ فهي دلالة المنطوق ، وتنقسم كما ذكر عبد الغفّار هلال إلى:

1.5 **دلالة المطابقة:** وهي دلالة اللّفظ على تمام معناه الموضوع له ، ومثالها قوله تعالى: ↓
↑ ⌚□◪⑨ᘔ■⌚◆□⬩▫ ☎✂□⬈⑩ᘔ⑨⬀➔⬧✍ ⬩◆□🕮 ⬄⚐🡐☜⬂▦⬁⌘ ⬀♌⬂⌧⬩▫
(النساء:03)، فهي تفيد المعنى المطابقي فقط، وهو وجوب الاقتصار على زوجة واحدة عند خوف الجور.

2.5 **دلالة التّضمن:** هي دلالة اللّفظ على جزء من المعنى ، الموضوع له، ومثاله قوله تعالى:
⭘♊🡐♑➔♳⬂♒♋❻ ⌚⬉🕮⬩✐ ᘔ⑩□⬈⑩⬀□□☼▫✈✍✂ ❼■✍⬧⬉◆□ ↓
◆□⬄○ᘔ✐◆□ ⭘♊⬋♧➔☜◆□⬄○ᘔ✐◆□ ↑ (البقرة: 233)،
المراد: وجوب نفقة الأب على الأم المرضع ...(وعلى المولود له): أفادت معنى آخر، هو اختصاص الابن بأبيه.

3.5 **دلالة الالتزام:** هي دلالة اللّفظ على جزء من المعنى الموضوع له ، كقوله تعالى: ↓
⬧⚐▪❷◪○◆□ ◪⬈⬂⓿⬧⌨⬂⑩✍✂ ✦✏✍✂ □⬂◪○□🕮◆□
✂✍⑩❷♒⌧✐⬧□🗐✂☎ 🗐 ↑ (البقرة:275)، فالنّص مسوق للتّفريق بين حلّ البيع وحرمة الرّبا ، وهو معنى التزامي.[1]

أمّا من جهة العوامل غير اللّغوية المحيطة بالنّص ، فقد قسّمت الدّلالة إلى:

4.5 **دلالة الإشارة:** هي الدّلالة على معنى ليس مقصودًا من إيراد العبارة ، كقوله تعالى: ↓
✂⌚❷⬀♧◪✸ ⬧♌□➔✢⌚■⬛□⚐ ⌚🡐○➔⬛⌚✱⌚ᘔ▫◆□ ⌚🡐○➔⬛⬀✆⌧□◆□
🗐 ↑ (الأحقاف: 15)، بيان أصلي لمدة الحمل والفصال ، وقوله تعالى: ↓
◆□ᘔ⌚✱⌚⬛➔○🡐⌚ ×⬂❼ ⬊⬧♌⬧✓⬀×✍ ↑ (لقمان: 14)، بيان أصلي لمدّة الفصال فقط، ويلزم من الاثنين معًا أنّ أقل

مدّة للحمل ستة أشهر ، من إشارة التّضمين ، وبه انعقد إجماع العلماء .

---

[1] يُنظر: عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، المرجع السّابق، ص369.

5.5 دلالة الاقتضاء: هي دلالة العبارة على شيء لم ينطق به، وتتوقف صحة الكلام عليه ، وصدقه حقيقة وشرعًا ، ومثله قوله سبحانه : ↓ ⬀☠→⌛⬂⓿■⍰♦⬉ ⇳💣*♦✎⛝⯑❷⬉❍ ↑(النساء: 23)، أي التّزوج بهن، وقوله تعالى: ↓ ⬀☠⬈▤←✌⏲⬕♑□✎↑🕮 ⇳💣*♦✎⛝⯑❷⬉❍ ↑ (المائدة:3)، فلا تكون الحرمة في أجسامها أو ذواتها ، وإنّما في أكلها والانتفاع بها.[1]

وهذه الأنواع من الدّلالات هي أكثر ما يعتمد عليه الفقهاء والمفسّرون والأصوليون، وهي المتّصلة بالدّراسات الشّرعية.

6.مباحث لغوية من المستوى الدّلالي:

عندما نتحدّث أو نتناول المستوى الدّلالي بالدّراسة ، فإنّنا نربطه من جهة بدلالة المفردات في حدّ ذاتها- ونعني به المعنى المعجمي لتلك المفردات- ومن جهة أخرى فهو يتلّق بدلالة هذه المفردات داخل تركيب معيّن والظّروف التي تُحيط به، وهو ما نسميه بالسّياق.

أ.مستوى المفردات (المعنى المعجمي):

تعدّ المعاجم ، من أهم الفّروع التي لا يجب علينا إغفالها أثناء دراستنا للمستوى الدّلالي ، بل قد عُدّ المستوى المعجمي من مستويات التّحليل اللّساني ، فهو منطلق المفردة ، والمعبّر عن كُنهها ووظيفتها واستعمالاتها ، والمحدّد لمعناها، ولذلك ذكرت نور الهدى لوشن:" المعاجم أحد الأقسام الرئيسة في المستويات اللّغوية ، أو هو المفتاح المبدئي ، ولو لم توجد ألفاظ أو كلمات ما صيغت اللّغة ، والمعنى المعجمي هو المعنى الأولي للكلمة أو المعنى التي تدلّ علي الكلمة المفردة كما في المعاجم ، وعن طريقها نتوصل إلى معرفة مفاتيح الكلمات المرتبة ضمن قوائم المفردات في النّظام المتّبع."[2]

والمعاجم أو المستوى المعجمي هو الذي يحدّد معاني المفردات كما ذكرنا ، ويمكننا تحديد أهم المباحث التي يدور حولها المعنى المعجمي للمفردة ، في: التّرادف، المشترك اللّفظي، التّضاد...الخ، وإنّ معرفة مختلف العلاقات بين المفردات ترتكز أساسًا على معرفة هذه المحاور، ليكون المتكلّم واعيًا

[1] يُنظر :عبد الغفار حامد هلال، المرجع السّابق: ص370.

[2] نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006م، ص83.

بالفروق الكامنة بين الألفاظ، قال فتح الله سليمان: " إذا كان الإنسان يهدف من خلال اللّغة إلى الإبانة والإيضاح ، ويسعى عن طريقها إلى إظهار مشاعره وانفعالاته ، فإنّه عندما يفعل ذلك يكون واعيًا بمدلولات الألفاظ ، وقد يُدرك بدرجة ما الفروق الدّلالية بين الألفاظ ، ويستطيع المرء بأدائه اللغوي الذي تمرّس عليه أن يُتيح جُملاً عديدة لم يكن قد سمعها ، أو قرأها ، أو تعلّمها من قبل، ممّا يؤدي إلى أن يستقرّ في وعيه ، أو لا وعيه دلالة اللّفظ."[1]

أ.1 التّرادف:

يعتبر التّرادف من الظّواهر الدّلالية ، التي تقع بين المفردات ، فتظهر العلاقات القائمة فيما بينها، يقول السّيوطي نقلاً عن الإمام فخر الدّين: "هو الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد".[2]

ويقصد بقوله : أنّها الألفاظ المختلفة في مبناها والمتفقة في معناها ،أي التي إذا استبدلت مع بعضها لا تتغيّر دلالة التركيب.

يقول أحمد حساني: "العلامات المترادفة: هي تلك العلامات التي تتقاطع فيما بينها في مدلول مشترك ، فهي كما يقول الغزالي:(الأسماء المختلفة الدّالة على معنى واحد : كالخمر،و الرّاح ، والعقار ، فإنّ المسمّى بهذه يجمعه حدّ واحد وهو : المائع المسكر المعتصر ، من العنب ، والأسامي مترادفة عليه)"[3]

أ.1.1 التّرادف بين النّفي والاثبات:

إنّ قضية التّرادف قد أثارت الجدال بين العلماء بين مؤيد ومنكر لها ،وقد قال فتح الله سليمان: " من القضايا التي شغلت القُدماء والمحدثين على السّواء ، وكان لها مؤيدون ومنكرون، فمنهم من أكدّ على وجود التّرادف بمعناه الشّامل في ألفاظ اللغة، ومن هؤلاء : ابن جني، وابن سيّده ، ومنهم من أنكر وجود هذا التّرادف التّام الكامل، باعتبار أنّ ثمة شحنة دلالية في كلّ لفظة لا توجد في نظيرتها،

[1] فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، المرجع السّابق، ص31.

[2] جلال الدّين السّوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1986م، ص402.

[3] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، المرجع السّابق، ص257.

ومن هؤلاء: ابن الأنباري، ابن فارس، أبو هلال العسكري... لم ينكروا إمكانية وقوع التّرادف بمعناه العام ، ولكنّهم ينبّهوا إلى وجود فروق دلالية بين المترادفات." [1] ومسألة وجود فروق دلالية بين المترادفات ، ظهرت بصورة واضحة في القرآن الكريم ، فهناك ألفاظ لا يمكن أن تحلّ مكانها أخرى ، لأنّ إحداها قد تكون أكثر تعبيرًا ووضوحاً عن نظيرتها

بحيث لا يمكن استبدالها بغيرها ، وقد مثلنا سابقًا للكلمات الآتية: السنة، الحول، العام، أو كما ورد في القرآن الكريم مفردات من مثل: زوجته، امرأته، أهله، فكلٌّ منها توظف في موضع يناسبها في مقام معيّن.

أ.2.1 أنواع التّرادف:

هناك أنواع عدّة للتّرادف ، وقد أشار إلى ذلك القُدامى والمحدثون، غير أنّ أكثرها شيُوعًا —والذي حدّده المحدثون– هما: التّرادف الكامل، وشبه التّرادف، وقد أشار إليها أحمد مختار عمر بقوله: " يميّز كثير من المحدثين بين أنواع مختلفة من التّرادف ، وأشباه التّرادف على النّحو التّالي:

ا/ التّرادف الكامل: وذلك حين يتطابق اللّفظان تمام المطابقة ولا يشعر أبناء اللّغة بأي فرق بينهما، ولذا يُبادلون بحرية بينهما في كلّ السّياقات..

.ب/ شبه التّرادف: وذلك حين يتقارب اللّفظان تقاربًا شديدًا لدرجة يصعب معهما– بالنّسبة لغير المتخصّصين– التّفريق بينهما... ويمكن لهذا التمثيل لهذا النّوع في العربية بكلمات: عام، سنة، حول..."[2]

أ.3.1 التّرادف في القرآن الكريم:

إنّ مجمل ما يُمكن ذكره عن التّرادف في القرآن الكريم —على الرّغم من الاختلاف في وقوعه بين مؤيد ومنكر– هو ما ذهب إليه صبحي الصّالح بقوله: "نقرّ بوجود التّرادف في القرآن ، لأنّه وقد نزل بلغة قريش المثالية يجري على أساليبها وطرق تعبيرها ، وقد أتاح لهذه اللّغة —طول احتكاكها باللّهجات الأخرى – اقتباس مفردات يُملك أحيانًا نظائرها ، ولا يُملك منها شيئا أحيانًا أخرى ، حتّى

[1] فتح الله سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، المرجع السّابق، ص35.

[2] أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، المرجع السابق، ص221.

إذا أصبحت جزءًا من محصولها اللّغوي ، فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة." [1]

فهو يرى أنّ التّرادف في القرآن الكريم ظاهرة طبيعية ومعقولة ، لأنّ القرآن العظيم نزل على سبعة أحرف ، أي أنّه خلاصة لغات مختلف الأمصار والقبائل ، ولذلك كان من الطبيعي أن توظف فيه مفردات مستخلصة عن جميع اللّغات واللّهجات التي احتكت بها لغة قريش، وهذا التّضافر بين الثقافات هو ما جعل القرآن يتفرّد بإعجازه ويتميّز بغنى لغته الذي لم تؤته لغة غير لغته.

وقد أضاف صبحي الصّالح في موضع آخر:" وبهذا نفسّر ترادف (أقسم وحلف) في قوله تعالى: ↓ ☎✂❑←☺❁❍⬂♎❑🕮◆❑ ★✎ᔕᔕ⦸✉ ⮹⑨⇳♑⮹♉ 🕮❑③⬃☺⮹🕔❁✐✐✍⚘⬀ ↑(الأنعام: 109)، وقوله تعالى ↓ ⑥◆♦⬂◘⦸▦→❑♍✎ ☎✂❑↗⚘ᔕ♦♎ ᔕ◆✎ ★✎ᔕᔕ⦸✉ ↑ (التوبة: 74)، وترادف (بعث وأرسل) في قوله تعالى: ↓ ❑◆✎♦ᔕ ✐↗☪❑ᔕ ✎↖→⮹⓿ᔕ✍✉⦸✓×◆ ❍⮹☹❁✉🗐 ☼◆⚉⬀→⮹❁⮹ ❻◆ᔕ←❑◆☪ ↑ (الإسراء: 15)، وقوله تعالى: ↓ ❑◆✎♦ᔕ✎ 🕮❑❻⬀ᔕ⮹◘✡❑🕔①✎ ☽⦸◆• ❻⮹❑⇳⚐◆❑☪ ⚘ᔕ⚘◘✂⮹🕔◘■☺⚘✓▫✎ ↑ (الإسراء:107)."[2]

وهذه أدلة عن وجود الّترادف في القرآن الكريم ، وإن اختلفت المفردات المترادفة في كيفية تعبيرها عن الدلالات من موضع لآخر، وانطلاقا من ذلك سعى المفسّرون إلى معرفة طبيعة العلاقات المشتركة بين المفردات وكيفية توظيفها في مختلف السّياقات.

أ.2. المشترك اللّفظي:

يعدّ المشترك اللّفظي بدوره مظهرًا من مظاهر التّطور اللّغوي، وهو من الخاصيات التي تميّزت بها اللّغة العربية : أن يحمل مبنى واحد معانٍ عدّة ، ولا يمكن أن يؤتى هذا التّميز لجميع اللّغات، ومن ثمّة يجب أن تعتبر اللّغة العربية لُغة حيّة لتطورّها المستمر، فقد قال إبراهيم أنيس:" المشترك اللّفظي صورة بارزة من صور التّطور اللّغوي ، فإنّه لا يقل أن يكون لفظٌ واحدٌ قد وضع لعدّة معاني ابتداءً ، ولكنّ

---

[1] صبحي الصّالح، فقه اللّغة، المرجع السّابق،ص299 .

[2] المرجع نفسه، ص300.

الواقع أنّه نتيجة لعدّة عوامل تسهم في وقوعه من ناحية نظرية: منها اختلاف اللّهجات القديمة، وتأثر بعضها ببعض، ومنها ما يقع من تطور صوتي في بعض الألفاظ... وربّما نشأ المشترك اللّفظي من استعارة اللّغة كلمة تماثل صورتها كلمة أخرى."[1]

فجميع هذه العوامل التي تضافرت في ظهور المشترك اللّفظي في اللّغة العربية، -وان اختلفت- فإنّها أسهمت في تنمية الرّصيد اللّغوي في العربية وإثراء معاجمها بمعنى جديدة في سياقات مختلفة.

أ.1.2 مفهوم المشترك اللفظي:

يقول ابن فارس في معنى المشترك :" الاشتراك: أن تكون اللّفظة محتملة لمعنيين أو أكثر، كقوله جلّ ثناؤه: ↓ ⧫□♦︎⬥✍︎♐︎⌂⬂⬂♒︎☺︎ ⚐︎⬀☺︎☞︎ ✗ⓞ❼ ⧫✍︎⬂♐︎◆⬆︎♒︎⧫⚐︎ ، فقوله: (يُلْقه)، مشترك بين الخبر وبين الأمر، ↑ ❺⚐︎◆⓿⬂♐︎ فاقذفيه في اليّم ، ومحتمل أن يكون اليمّ أُمر بإلقائه."[2]

ويقول طالب محمد إسماعيل :" إنّ علماء اللّغة العربية يشترطون في إطلاق اسم المشترك على اللّفظ الذي له أكثر من معنى وأنّ يتعدّد فيه الوضع تبعًا لتعدّد المعنى ، أي أنّ الكلمة إذا تضمنت معاني جديدة لها صلة بالمعنى الأصلي ، فلا تعدّ من قُبيل المشترك اللّفظي."[3]

فحدّ المشترك اللّفظي هو اشتراك معنيين في لفظ واحد ، أمّا إذا كانت ثمة معاني تشترك في لفظ واحد ، وتلمح لمعناها الأول من مثل المشتقات وغيرها ، فلا تدخل في باب المشترك اللّفظي المقصود.

أ.2.2 أسباب الاشتراك في اللّغة :

لعلّ أهم الأسباب لوجود المشترك اللّفظي في اللّغة لخصتها نور الهدى لوشن فيما يلي:

- اختلاف اللّهجات: فكلّ لهجة تنشئ لفظًا يُنتج عنه اتّفاق اللّفظ واختلاف المعنى.

---

[1] إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3.،2003م،ص 09.

[2] أبي الحسن أحمد ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م، ص261.

2 طالب محمد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشّعري، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1432هـ، 2011م،ص183.

- التّغير الدّلالي : حيث يستعمل اللّفظ لمعنى حقيقي كما يستعمل لمعنى مجازي.

- المستجدات النّاتجة عن التّغير الدّلالي، كما حدث ذلك في الألفاظ الشرعية مثلاً ، والمصطلحات العلمية.

- التّغير الصّوتي، وذلك ما يحدث بين الكلمات المتشابهة صوتيًا لما في كلمة (الفروة)، التي تطلق على جلد الرّأس والغنى، وأصل الكلمة بالمعنى الثاني (الثروة).

-وقد يكون سبب المشترك التّشابه في الصّيغ الصّرفية."[1]

أ.3.2 أمثلة عن المشترك اللّفظي:

ساق فايز الداية بعض الأمثلة عن المشترك اللّفظي نقلاً عن كتاب(مختصر وجوه اللّغة) للخوارزمي ذكر فيه :" الأم : الوالدة ، وأصل كلّ شيء ، والملجأ في النّوائب ، وأم الكتاب فاتحته، وأم الرّأس موضع الدّماغ، الجارية: إحدى الجواري، السّفينة، عين كلّ حيوان، وعين الماء، ونعمة الله عزّ وجلّ، والشّمس، الحرّ: نقيض العبد ، والكريم حسن الخلق، وفرخ الحمام ، والفرس العتيق..."[2]

فكلّ لفظة من هذه الألفاظ تشترك فيها معاني متعدّدة تختلف تمام الاختلاف عن بعضها البعض، ولا يمكن معرفة معناها إلاّ بالنّظر في دلالتها داخل التركيب أو السّياق الذي وُظفت فيه، ولأجل هذه القضية اعتنى المفسّرون بجانب المفردات من جهة الاشتراك في اللّفظة لمعرفة معناها الحقيقي الذي وضعت له.

أ.3 التّضاد :

تعدّ مسألة التّضاد من القضايا اللغوية التي حدث —في وقوعها– تضارب بين العلماء بين مثبت ومعارض لها ، يقول فتح الله سليمان:" قضية الأضداد ن القضايا اللّغوية التي لم تحسم بعد، والتي اختلف حولها القدماء والمحدثون مابين مؤيد لها ومنكر، ولكنّها ظاهرة محدودة في ألفاظ قليلة يمكن

[1] نور الهدى لوشن، علم الدّلالة(دراسة وتطبيق) ، المرجع السّابق،ص106.

[2] فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي(النظرية والتّطبيق)، المرجع السّابق، ص81.

إحصاؤها ، كما أنّ طبيعة التّطور اللّغوي جعلت كثيرًا من الألفاظ مهجورة ، مثل: الصّريم: للّيل والنّهار، والشّدقة : للضوء والظّلمة.."[1].

فرغم إثبات مسألة التّضاد من قبل فئة من اللّغويين ، إلاّ أنّها قليلة مقارنة بظاهرتي : التّرادف والمشترك اللّفظي، وهذا يرجع إلى قلة استعمال بعض الكلمات و هجرانها بل واضمحلالها ، وهذا ما جعل فريق آخر من اللّغويين ينكرون وجود هذه الظّاهرة ، غير أنّ التّضاد من المباحث الدّلالية الهامة ، وقد اعتبرها أغلب اللّغويين منبثقة عن المشترك اللّفظي ، وفي هذا يقول فايز الدّاية: "التّضاد يعدّ جزءا من مفهوم المشترك ، ذلك أنّ المشترك يقع على شيئين ضدّين ، وعلى مختلفين غير ضدّين ، فما يقع على ضّدين (كالجون: للأبيض والأسود)، والجلل (للعظيم والحقير)، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين."[2]

فالمشترك اللّفظي أعم من التّضاد يقع على اللّفظين المتّضادين أو المختلفين ، أمّا التّضاد فلا يقع إلاّ على الضّدين ، فالتّضاد إذن جزء من المشترك اللّفظ، يقول طالب محمد إسماعيل: " ...ويُقصد بالأضداد ، أو التّضاد في اصطلاح بعض علماء العربية القُدامى (الكلمات التي تؤدي دلالتين بلفظ واحد، يقول ابن الأنباري مقدّمة كتابه الأضداد :(هذا كتاب ذكر الحروف أي الكلمات التي توقعها العرب على المعاني المتضّادة) ، فيكون الحرف فيها مؤديّا عن معنيين مختلفين، وذكر ابن فارس أنّ:(من سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادين باسم واحد : سمّوا الجون للأسود، والجون للأبيض)."[3]

أ.1.3 عوامل وقوع التّضاد:

لقد استعملت العرب الألفاظ المتضّادة لأسباب مختلفة يرجع بعضها لأسباب نفسية وأخرى ثقافية، أو بسبب التّطور اللّغوي ، وفي ذلك يقول علي عبد الواحد وافي ممثلاً لبعض النّماذج من التّضاد: "فيما يتعلّق بالتّضاد فإنّ أمثلته في اللّغة كثيرة تؤكدّ أنّه موجود في اللّغة ، ذلك أنّ العوامل التي تؤدي

[1] فتح الله سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة، المرجع السّابق، ص44.

[2] فايز الدّاية ، علم الدّلالة العربي(النّظرية والتّطبيق)، المرجع السّابق، ص78.

[3] طالب محمد إسماعيل، مقدّمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشّعري، المرجع السّابق، ص200.

إليه عوامل فعّالة في حياة النّاس، وهي في مجموعها لا تخرج عن العوامل السّابقة العاملة في التّطور اللّغوي ، ففي بعض الأمثلة قد استعمل اللّفظ ضدّ ما وضع له لمجرّد التّفاؤل : كالمفازة في المكان الذي تغلب فيه المهلكة، فقد سميّت بذلك تفاؤلاً بالسّلامة ، وكالسّليم للملدوغ، وكالرّيان والنّاهل للعطشان ، وفي بعضها قد استعمل اللّفظ في ضدّه للتّهكم ، أو لاتّقاء التّلفظ بما يكره التّلفظ به أو بما يمجّه الذوق ، أو بما يؤلم المخاطب ، وكذلك كإطلاق لفظ العاقل على المعتوه أو الأحمق ، والخفيف على الثقيل ، والأبيض على الأسود ، والملآن على الفارغ ،والمولى على العبد ، والبّصير على الأعمى، وهلمّ جرّا..."[1]

ب. السّياق:

إنّ معنى المفردة لا يمكن تحديده أو حصره إلاّ في إطار السّياق الذي وُضعت فيه ،ولذلك لا يمكننا إغفال السّياق أثناء دراسة الجانب الدّلالي ، بل هو الرّكن الرّكين فيه ، وفي هذا يقول هادي نهر:" البحث عن دلالة الكلمة لا بدّ أن يجري من خلال التّركيب والسّياق الذي ترد فيه، حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات ، ممّا يمنح كلاًّ منها قيمة تعبيرية جديدة ، ويفرض قيمًا دلالية ، بحيث يتحدّد كلاًّ منها بدلالة قارّة دون سائر الدّلالات التي يمكن لهذه الكلمة ، أو تلك أن تحملها أو تؤديها."[2]

ويقول في موضع آخر: "السّياق يحدّد دلالة الكلمة على وجه الدّقة ، وبواسطته تتجاوز كلمات اللّغة حدودها الدّلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة ، قد تكون مجازية، أو إضافية أو نفسية أو إيحائية أو اجتماعية ، أو غير ذلك من الدّلالات ..."[3]

ويرى تمّام حسّان أنّ السّياق :" هي كبرى القرائن النّحوية ،لأنّها قد تعتمد على شيء من هذه القرائن النّحوية المفردة ، أو تتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل ،أو من المقام المحيط بالجملة."[4]

---

[1] علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، المرجع السّابق،ص188.

[2] هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التراث العربي،عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2011م، ص193.

[3] المرجع نفسه ، ص192.

[4] تمام حسّان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 1993م ص212.

فالسّياق حسب تمام حسّان له صلة وثيقة بالعلاقات النّحوية داخل تركيب الجملة ، إذ يعطيها معاني جديدة تختلف باختلافه، كما أنّه له علاقة بالظّروف الخارجية المحيطة بالنّص ، والتي ينطلق من خلفياتها لتفسير النّصوص ، ومن ثمّة فيمكننا التمييز بين نوعين من السّاق: أحدهما لغوي وآخر غير لغوي، وقد ذكرت ذلك نور الهدى لوشن: " المعنى الدّلالي يعتمد في تكوينه على عنصرين : معنى المقال: وهو المعنى الحرفي أو المعنى الظّاهري للنّص، ومعنى المقام: " وهو مكون من ظروف أداء المقال، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية."[1]

والسيّاق بنوعيه سواء أكان لغويًا أو غير لغوي، فهو يُعين على فهم دلالة المفردات ، وخاصة في النّصوص ، وخاصة في النّصوص القرآنية التي تختلف خطاباتها من موضع لآخر، لذلك وجب علينا مراعاة وظيفة السّياق في فهم النّصوص القرآنية .

ب.1.السّياق في الدّراسات القرآنية:

ذكر محمد أحمد خيضر أنّ :" النّص القرآني لا تُفسّر الجملة منه، أو اللّفظة منفردة ، وإنّما يُفسّرها ما حولها من ألفاظ، وجمل وآيات، قد تمتد إلى النّص القرآني كلّه ،وهو ما نسميه بالسّياق اللّغوي ، وقد يُفسّرها ما هو خارج النّص من مثل السّنة المطهّرة ، وأسباب النّزول ، وكلّ ما يعرف به ظروف الخطاب القرآني من متكلّم ومخاطب ومكان وزمان وعموم وخصوص."[2]

فمعرفة دلالة النّصوص القرآنية تتفاعل فيه مجموعة من العوامل اللّغوية وغير اللّغوية ، والمسمّاة بالسّياق الذي يعدّ من الظّواهر الدّلالية المهمّة ، يقول عبد الجليل غزالة:" يمثل السّياق ظاهرة مهمة في تحديد معنى النّص القرآني ، أو أي نص آخر علاوة على أنّها أصبحت مسألة معروفة جدًّا في مجال اللّسانيات الحديثة ... حيث يحدّد الأسلوب القرآني المقدّس أهمية التّفاعلات النّصية في فهم الخطاب الإلهي ، فلا يجب القفز عليها ، أو تجاهلها، إنّ السّياق القرآني يقوم على تعابير وألفاظ معيّنة ، تجرّ وراءها تفاعلات نصية."[3]

---

[1] تمّام حسّان ، العربية معناها ومبناها، المرجع السّابق، ص339.

[2] محمد أحمد خيضر، التّركيب والدّلالة والسّياق(دراسة تطبيقية)،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 2005م، ص114.

[3] عبد الجليل غزالة، اللسانيات والإسلام والحضارة الإفريقية،المرجع السّابق، ص102.

ولذلك وجب على المفسّر أن يكون على معرفة واسعة بالسّياق على نوعيه ، والتي تحدّد له ظروف الخطاب المعينة له في تفسير آي الذكر الحكيم، والسّياق هو الكفيل بتوجيه المعنى في النّصوص القرآنية وإنّ درجة وعي المفسّر بالسّياق تتوقف على وعيه ببعض الشروط ذكرها هادي نهر يمكن تلخيصها فيما يلي:

1) على مستوى سياق الحال، اشترطوا المعرفة بأسباب النّزول لأنّ عدم الوعي بذلك يؤدي إلى فقدان المعنى المراد من الآية المعيّنة ،والأحداث والوقائع الملابسة لنزول الآية أو النّص القرآني المعيّن.

2) اشتراطهم معرفة المناسبة القائمة في السّورة المعيّنة سواءً أكانت المناسبة قائمة بين فاتحة السّورة و خاتمتها ...أو المناسبة بين السّورة واسمها ، أو المناسبة بين السّورة والحرف الذي بنيت عليه.

3) اشتراطهم معرفة النّاسخ والمنسوخ ، والاطّلاع على أسراره ، ليسلم المفسّر من الأغلاط.

4) اهتمام المفسرين ببيان العلاقات التّداولية الحاصلة بين آيات القرآن الكريم: متجاورة أو متباعدة، من تفسير وبيان...

5) ضرورة معرفة ما كان على الإجمال (أي ما يحتمل أكثر من معنى)، وما كان على التّفصيل (أي بعض المحتملات أو كلّها). [1]

لقد أدرك المفسّر : الطّاهر ابن عاشور ما للسّياق من أهمية في تفسيره ، فقال:" ممّا يجب التّنبيه له أنّ مراعاة المقام في أن ينظّم الكلام على خصوصيات بلاغية ، هي مراعاة من مقومات بلاغة الكلام ، وبخاصّة في إعجاز القرآن ، فقد تشتمل آية من القرآن على خصوصيات ، تتساءل نفس المفسّر عن دواعيها ، وما يقتضيها فيتصدّى لتطلب مقتضيات لها ربّما جاء بها متكلّفة أو مغصوبة، ذلك لأنّه لم يلتفت إلاّ إلى مواقع ألفاظ الآية، في حال أنّ مقتضياتها في الواقع منوطة بالمقامات التي نزلت فيها الآية."[2]

[1] يُنظر :هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التراث العربي،المرجع السّابق، ص220،223.

[2] الطّاهر ابن عاشور، المرجع السّابق، ج01،دط، 1984م، ص111.

من أجل ذلك لم يغب عن وعي ابن عاشور —في تفسيره– مراعاة مختلف المقامات المحيطة بالنصوص القرآنية للوصول إلى مقصديتها وبنيتها العميقة ، نظرًا لأهميتها البالغة في تحديد دلالة الألفاظ ومن ثمّ فهم النّص برمّته.

المبحث الثاني: نماذج لأثر المستوى الدّلالي في تفسير النّص القرآني (التّحرير والتّنوير).

حاول ابن عاشور بالرّجوع إلى المستوى الدّلالي استقصاء أغلب المباحث الدّلالية ، التي تعينه على فهم مقاصد النّصوص القرآنية قريبا من مختلف الظروف التي ساهمت في إنتاجها من سياقات خارجية وداخلية أي لغوية وغير لغوية ، ويدخل في السياق كلّ ما يتعلق بأسباب النّزول ، وعلم المناسبة والنّاسخ والمنسوخ...وغيرها من علوم القرآن التي تتدخل في توجيه المعنى ، ولا يخفى ما للمعجم من أثر في إنتاج دلالة المفردات ، وذلك بالرّجوع إلى معانيها المعجمية والنّظر في العلاقات التي تربط بينها، وقد تجسدت مختلف هذه المحاور بحق في تفسيره (التّحرير والتّنوير) ، وهذه بعض النماذج المختارة منه:

1.دلالة السّياق:

1.أسباب النّزول:

1.1 قوله تعالى: ↓ ✉ ◻♌◻◑ ✁✍✎⅄ •• ③♦○⇔✌♦⌧⇗✍⬁⊕▦ 📖◻♌
④◻⮞⇳❸◻⌘ ✌♦✞♦⌖♦ ✌◻✍ ✍♦➔⬉◻➷❁◻☪ ▫♦☺◻✍ ▫♦◻⬀♑♑◻✍ ↑،(البقرة، 26)، قال ابن عاشور :" روى الواحدي في أسباب نزول عن ابن عباس أنّ الله تعالى لما

أنزل قوله تعالى: ↓ ◑◻♍· ✁✍✎⅄♑⇔▫✌ ✍•⑨⇳⬉⬉◻♍✌ ✌♑♊ ⑩←◻♌✍

✁✍✎★ ♊•♊ ⑥•③⬂◘➔◑➔◻✁☎ ❶➔✍♦✍✍ ✌◻♦✌✍ ◻♦✌•◻✍
✁✍♉⇳✌♦☺⬀➔◻⬉◻✁☎ ♊•○←◑ ☎ ◻♦◑◻♌ ④◻○⇔◘➔⬓⬀✌⬃✖⬉
✁✍✌♋⬓♦✍✌✌⊕⊃ ⅄⌧❶⬂★✌✍ •• ④◻○⇔☛♦☪◑⬃❶⬀◻■← ✌♑✡⬀○←

↑،وقوله تعالى: ↓ ✌♦♦✌✍⬉ ✁✍✎⅄♑⇔▫✌ ✁✍✌✦③•❶⬀◻✁☎ ✌♑♊
⑩←◻♍⑦ ★✎✍✁ 📖◻◻⬀♊♑⑩♦✍✎⬀♦ ✍⌧☺⬓✞•✌✎

قال ، ☎↑ ✍♊♊⬂◘➔⬓◻☪⌧⌧♑◻←◻✖♑ ✁✍✌✦③•❶⌧✖⇳ ✍♦❹⬀☛♉✍

المشركون أرأيتم أي شيء يصنع بهذا ، فأنزل الله ↓ ◑◻♌◻ ✁✍✎⅄ ••
③♦○⇔✌♦⌧⇗✍⬁⊕▦ 📖◻♌ ④◻⮞⇳❸◻⌘ ✌♦✞♦⌖♦ ✌◻✍
✍♦➔⬉◻➷❁◻☪ ▫♦☺◻✍ ▫♦◻⬀♑♑◻✍ ↑،وروي عن الحسن وقتادة أنّ الله ذكر

الذّباب والعنكبوت في كتابه، وضرب بها المثل ضحك اليهود ، وقالوا ما يشبه أن يكون هذا كلام الله ، فأنزل الله الآية."[1]

إنّ العلم بأسباب النّزول هو المعرفة بالظروف المحيطة بالنّص القرآني ، وبالمقام الذي نزل فيه، وفي هذه الآية يذكر ابن عاشور أنّ نزولها ،كان في حق بني إسرائيل الذين استهزؤوا وسخروا بما أنزل الله ، وضربه مثلاً في كتابه من مثل الذّباب والعنكبوت ، فنزلت الآية ، والسّياق الذي نزلت فيه هو الذي أتاح تفسيرها تفسيرًا صحيحًا.

2.1قوله تعالى :

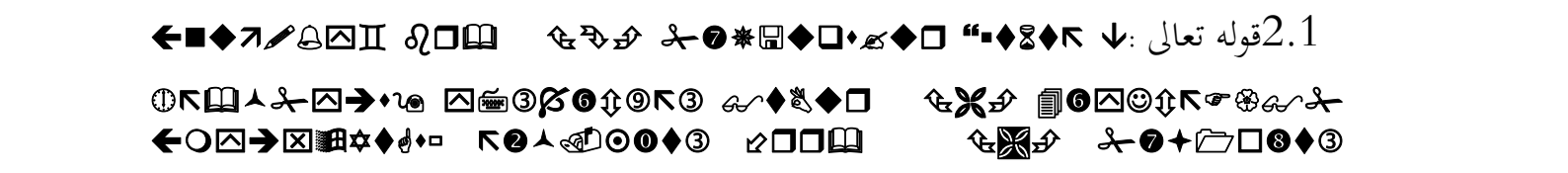

،((عبس:01، 04)، يقول ابن عاشور: "سبب نزول هذه الآيات من أولها إلى قوله: (بررة)، وهو ما رواه مالك في الموطأ مرسلاً عن هشام بن عروة عن أبيه أنّه قال: أنزلت (عبس و تولى) في ابن أم مكتوم ، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فجعل يقول استدنني، وعند النبي صلى الله عليه وسلم ، رجل من عظماء المشركين ، فجعل النبي صلى عليه وسلّم يعرض عنه (أي عن ابن أم مكتوم ، ويُقبل على الآخر، ويقول : يا أبا فلان هل ترى بما أقول بأساً)، فيقول .....ما أرى بما تقول بأسًا ، فأنزلت (عبس وتولىّ)."[2]

في هذه الآية الكريمة يرى المفسّرون بنظرهم لما تواتر من الأخبار و الآثار- ومن بينهم- ابن عاشور- أنّها نزلت في ابن أم مكتوم حين أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، لا تكبّرًا ، ولكن انشغالاً عنه بدعوة أحد أعيان المشركين رجاء أن يدخل الإسلام ن فجاء العتاب من عند الله تبارك وتعالى وحيًا يوحى، ونزلت الآية ، فتحري الظّروف التي نزلت فيها الآية لكفيل بمعرفة دلالتها.

3.1قوله تعالى:

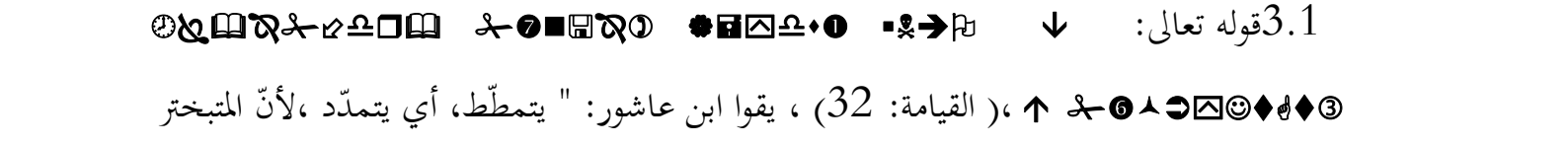

(القيامة: 32) ، يقوا ابن عاشور: " يتمطّط، أي يتمدّد ،لأنّ المتبختر ....وهي مشية المعجب بنفسه ، وهنا انتهى وصف الإنسان المكذّب ، والمعنى أنّه أهمل الاستعداد

[1] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج01، ص358.

[2] ابن عاشور، التحرير والتّنوير، ج30، ص107.

للآخرة، ولم يعبأ بدعوة الرّسول (صلى الله عليه وسلّم)، وذهب إلى أهله مزدهيًا بنفسه ، غير مفكّر في مصيره ، قال ابن عطية : قال جمهور المتأولين : هذه الآية كلّها من قوله:(فلاَ صدَّقَ وَ لاَ صَلَّى)، نزلت في أبي جهل بن هشام ، قال: ثمّ كادت هذه الآية تصرّح به في قوله تعالى:(يَتَمَطَّى)، فإنّها كانت مشية بني مخزوم ، وكان أبو جهل يكثر منها."[1]

في هذا الموضع أيضًا اعتمد ابن عاشور في تفسير للآية على السّياق الذي نزلت فيه ، وهو سبب نزولها ، فذلك يُعينه على التّعرف على فحواها و مقاصدها.

2.1. مناسبة الآية لما قبلها:

قوله تعالى: ↓ ♋⑨⇧♑⍓➔♎✍ ♦♌❐🡐❸♦✋⇧⌖❐④ ♦✖⇦♋♕⅄✍♐✂ ❐♌♎➀ ⏲☒⓿♎🖬⬩♕ ♐✡✡⍓☺❐🏱 ⬀☠♉♈✏❁⏲⍓☺⬃➂❐🕮♦❐ ★✍♐✂ ♉❐♦❷⬂⌘☛⍓♐✂ ❼♎✖ ⬀☠🡐♑⬩♏ ♦🖭⏲■🖬⍓⌘ ⬩⬩ ♉➀♉⬖❃⏲⬩♏🕯❐⬆🕮 ⬉❷⓫🡒⬲♦➂ ⬩⬩♦❐ ✦✍♐✂ ⬉☠🡐♑🡐☺♋♈🖬☒⌛⬉➂ ⬩⬩♦❐ ⬩⬩♦❐ ♋❐⍓☺⏲♦⑩✌➀⬂♏♐✂ ♦🏲⬀❐♦➂ ⬀☠♉♈⬀❸⬩♏♎➀ ⬄🏱♎♑⓿⬂♏🗏♦❽⬉➂ ⬄🏱🡐♑⬩♏♦❐ ⬉✞✂☒⓿♦⬉ ♉🏱⑩♋♏❐🕮 ↑، (آل عمران:77)، قال ابن عاشور:" مناسبة هذه الآية لما قبلها ، أنّ في خيانة الأمانة إبطالاً للعهد ، وللحلف الذي بينهم وبين المسلمين وقريش ، والكلام استئناف قصد منه ذكر الخُلق الجامع لشتات مساوئ أهل الكتاب من اليهود ،دعا إليه قوله تعالى: ❐♦⑩❐☠ ⬲⅄♐✍✶♉▦☒❐⮜ ♎♋♊♊⇧ 🕮❐⚍⬃⬂✏ ✂♐♏⬩⬂🗏⬂✌♦⏲🖬✌ ↑ ، وما بعده"[2]

إنّ المعرفة بعلم المناسبة يُعين المفسّر على إدراك مدى الاتّساق والانسجام بين آي القرآن وسوره، ومن ذلك معرفة مناسبة الآية لما قبلها ،حيث يرى ابن عاشور أنّ هناك تناسب بين الآية وما قبلها، وهي قوله تعالى: ↓ ❐♦♊♋♊⇧ 🕮❐⚍⬃⬂✏ ✂♐♏⬩⬂🗏⬂✌♦⏲🖬✌ ♊♦⇧ ➀♎♌ ✍⬩♦⬃❍🡐 ✍⬩⑨♎♎✍ ⬲⬂✌➀⮊⬩♐❻♏ ➂⬉⬩☒⑩♉♋■♉⏲▦ ➀♎♏⬩⓿⬂🖮⍓ ❐♦♊♋⬩⬃🡐♑🏱 ♊❐♊⇧ ➀♎♌ ✍⬩♦⬃❍🡐 ✍⬩⑨♋➂✡❐♐❻♏ ⬩⬩ ➂⬉⬩☒⑩♉♋■♉⏲▦ ➀♎♏⬩⓿⬂🖮⍓ ...↑ ، وهذا التّناسب أحدث وحدة موضوعية بين

[1] المرجع نفسه: ج29. ص363.

[2] ابن عاشور، المرجع السّابق ، ج03، ص289.

الآيات ،نتج عنها تماسك فيما بينها، فلا تكاد واحدة تنفك عن الأخرى ، حيث نجد تسلسلاً محكمًا بين آيات الذكر الحكيم وسوره، وهذا يعبّر عن تمام إعجازه.

2.العلاقات المعجمية :

1. التّرادف:

1.1 قوله تعالى: ↓ ❑◆✍⌧⍰❑⇦✗ ✌✗⍓♊ ✡✸🖫☞♐♍♎ ♎◆🕐✍◆♐•

✌◆➔⬠⬅🕐 ⑥♐🖅■♒⓪⑩❑♌◆ ☞⌧⬥♋❷❸⊲ ▫◆☺⌧⬥ ❑◆♎⌧⬥⬕❑⬀✃☎
♓♋☺⌧⬥ 📖❑🕒✹⬥ ♦⬅♈✶⊠ ✗♑❼ ♒⌧⌛♑⓿⬅✍ ✃⬥✍★ ❑◆✌◆⬥
🖗✹➔⬀▦➔❑✃☎ ❑◆✌◆⬥ ✃⬥♒⇔✍◆▤◆♎☼⬅❑✃☎ ▤ ↑ ،(آل

عمران،146)، يقول ابن عاشور:" جمع بين الوهن والضّعف، وهما متقاربان تقاربًا قريبًا من التّرادف ، فالوهن : قلة القدرة على العمل وعلى النّهوض في الأمر ، وفعله كوعد وورث وكرم، والضعف-بضم الضّاد وفتحها- ضد القوة في البدن ، وهما هنا مجازان ، فالأول أقرب إلى خور العزيمة ، ودبيب اليأس في النّفوس والفكر، والثاني: أقرب إلى الاستسلام والفشل في المقاومة ..."[1]

ممّا لا يخفى على أحد من أهل اللّغة أنّ العلاقات المعجمية بين المفردات قد تحدّد معانيها ، وانطلاقاً من ذلك فقد تتفق مع غيرها أو تختلف ، وابن عاشور في تفسيره لهذه الآية ، يرى أنّ هناك علاقة اتّفاق بين كلمتي (الوهن، والضّعف)، ويقول بترادفهما ، إلاّ أنّنا نجد فروقًا دلالية بين هذه المترادفات ، وإلاّ لكان استعمالها في موضع واحد يؤدي إلى قصور في الأسلوب ، ولا يمكن لذلك أن يكون في القرآن الكريم ،إلاّ إذا كان في التّرادف قصد توكيد المعنى ، وهذا ما نميل إليه، والقول بالتّرادف لا يعدّ _ بأي حال من الأحوال_ نكرانًا لتلك الفروق الدّلالية بين المفردات، ومن التّرادف أيضًا :

2.1قوله تعالى: ↓ ✃⬥✍⬀♎✌⍓♎ ◆✗⇦♒♎➔▫❑⬉③ ◆♌❑➔▫❑⬉③ ♒✍⌧➔♑⬅♈♒ ★✍⬥✃

❑◆••③◆⬅➊➔♒➔❑♌◆ ✃⬥✍♐☺♒⓪✦◆🕐◆⌨◆ ↑ ،(الرعد: 20)، قال ابن عاشور : " والميثاق والعهد مترادفان ، والإيفاء ونفي النقض متحدا المعنى، وابتدئ من الصّفات بهذه الخصلة

---

[1] المرجع نفسه،ج04، ص119.

لأنّها عن الإيمان ، والإيمان أصل الخيرات وطريقها ، ولذلك عطف على : (③↖❑▫➔❑♌♦

♐➔♑⇧⑨♉)، قوله: (❑♦•• ③♦☪◑➔♉➔❑♌♦ ✃⬖♏ⓐ♒☺♉⑩⌖♦⌚⌨♦)،

تحذيرًا من كلّ ما فيه نقضه."[1]

في الآية الكريمة –كما يرى ابن عاشور– وقع ترادف بين لفظتي (الميثاق والعهد) اللّتان تعبّران عن المعنى نفسه ، وقد أدّى ذلك إلى توكيد المعنى والمبالغة في التّحذير من نقض العهد والميثاق ، لما لهما من مكانة عظيمة توجب الحرص على حفظهما، لقوله تعالى : ↓ ❑♦🕮❑❀⬧⓿⬁☼♦⬖♏

♉❀⬀♏♉☸⬖♉♐⌖⓿⌚⓿◑⌚♏ ⬊⌧⬛♒⓿➔☪♏ ↑ .

2. المشترك اللّفظي:

1.2قوله تعالى : ↓ ⬊⌧❷⬀❸♦ ⬀➔♦♐✍☞⌘❼ ✃♏⓿⌚⊙⓿⑩⬂⑨♉

❑♦🕮❑☼☞⬅☠⬀ ○↖❷↖⊳⬊ ↑،(المائدة: 01)، يقول ابن عاشور:" (وأنتم حرم)، يجوز أن يُراد به محرمون ، فيكون تحريمًا للصّيد على المحرم : سواءً أكان في الحرم، أم في غيره ، ويكون تحريم صيد الحرم لغير المحرم ثابتا بالسّنة، ويجوز أن يكون المراد به محرمون وحالّون في الحرم ، ويكون من استعمال اللّفظ في معنيين يجمعهما قدر مشترك بينهما ، وهو الحرمة."[2]

ظاهرة الاشتراك في لفظ واحد لمعانٍ متعدّدة معروفة في القرآن العظيم ، ومنها ما هو في هذه الآية التي رأى ابن عاشور أنّه تحمل مشتركًا لفظيًا بين معنيين في لفظة (حُرم)، لذا فتفسيرها يتعدّد كما ذكر ابن عاشور ،و كلٌ من المعنيين اللّذين ساقهما مقبول ومحتمل ، ولا تناقض بينهما.

2.2قوله تعالى: ↓ ❑♦✃♏♉⇧➔⍓⬈ 🖫♐❼ ♒♐♊ ✏⅄♏➔☼⌨⍓

⬅⬛▫⬄♦⌚☪✡♏ ☼☸⌚⬀❷❸☪✃ ↑، (الإسراء: 80)، يقول ابن عاشور: "السلطان اسم مصدر يطلق على السّلطة وعلى الحجّة ، وعلى الملك، وهو في هذا المقام كلمة جامعة ،على طريقة استعمال المشترك في معانيه أو هو من عموم المشترك ، تشمل أن يجعل الله له تأييدًا وحجة وغلبة

---

[1] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير ، ج13، ص126.

[2] المرجع نفسه ، ج06، ص79.

ومُلكًا عظيمًا ، وقد أتاه الله ذلك كلّه ، فنصره على أعدائه ، وسخّر له من لم ينوّه بنهوض الحجّة وظهور دلائل الصّدق ، ونصره بالرّعب."[1]

يذكر ابن عاشور أنّ لفظة (سلطان) في هذا الموضع أو المقام قد تضمنت عدّة معاني مشتركة في اللّفظة ذاتها ، فقد تأتي بمعنى : الملك أو السّلطة ، وقد تكون بمعنى : التّأييد والغلبة بالحجة والبرهان، وكلٌّ من هذه المعاني مقصود ، و لا يخل ذلك بدلالة النّص.

3. التّضاد:

1.3 قوله تعالى: ↓ ◻◆🕮◻·❁❸❿◻✃☎ ✃🙢🕾♑☪◻⑨⌧✃✌♦◻⬧ 🕾•♑☺⬤🙢 ❻◆🕮◻◻⬉✃☎ ✃🙢🕾♑⬂➔⌧⓿⌧✃✇⌘ ↑، (سبأ: 33)، يقول ابن عاشور:"ذكر الزمخشري وابن عطية أنّ من المفسّرين من فسّر (أسّروا)، هنا بمعنى (أظهروا)، وزعم أنّ (أسّر) مشترك بين ضدّين ... وقد فسّر الزوزني الإسرار بالمعنيين... وقد عدّ هذه الكلمة في الأضداد كثير من أهل اللّغة ... والذي جرّ على تفسير (أسروا)، بمعنى (أظهروا) هنا هو ما يقتضي إعلانهم بالنّدامة من قولهم: ↓ 🕾♑•❑⬀•✋ 🕮◻✡☞⬅🏱⇔ 🕾♑•▤⬈✡◻🙢 ✌⬉⬀✌⧓☪⧓✓▫🙤 ↑."[2]

يرى ابن عاشور في تفسيره للفظة (أسروا)، أنّها مشتركة بين معنيين متضادين ، فقد تأتي بمعنى (أظهروا) ، وقد تكون بمعنى (أضمروا)، مستدلاً لذلك بأقوال علماء اللّغة والتّفسير، كما أنّه ثمة قرائن في آيات أخرى تؤيد ذلك ، أي مجيء (أسرّوا) بمعنى (أظهروا وأعلنوا)، ولذلك جعل ابن عاشور هذه اللّفظة من باب المشترك اللّفظي بين المتضادين.

2.3 قوله تعالى: ↓ ◻◆✃🙢🕾♑⅄⓿⬂⬊⬀ ➀⬂❶•✃ ⬉♦○⇔➔⌧▪" ↑، (التكوير:17)، يقول ابن عاشور في تفسيره للفظة (عسعس) : " عسعس اللّيل عسعاساً وعسعسة ، قال مجاهد عن ابن عباس ، أقبل بظلامه، وقال مجاهد أيضًا عن ابن عباس، معناه: أدبر بظلامه ...

[1] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، المرجع السّابق، ج15، ص187.
[2] المرجع نفسه، ج22،ص210.

وقال المبرّد والخليل هو من الأضداد ، يُقال : عسعس، إذا أقبل بظلامه ، وعسعس :إذا أدبر بظلامه ، قال ابن عطية: قال المبرّد :أقسم الله بإقبال الليل وإدبارهمعًا."[1]

في هذه الآية الكريمة أيضًا يرى ابن عاشور استنادًا إلى أقوال جمهور أهل العلم أنّ كلمة (عسعس) مشتركة بين ضدّين ، وهما الإقبال والإدبار، وكلاهما مقبول في سياق هذه الآية ، ولا يمكن ردّه ، فيكون الله تعالى قد أقسم بالمتضادين(الإقبال والإدبار)، ولا تضارب بينهما وكلٌّ منهما محتملٌ ومقصود حسب بعض المفسّرين.

3.نماذج لأنواع الدّلالات:

1.3 دلالة التمثيل:

قوله تعالى: ↓ ☎✁☑❑←☺■◘⇧⇖✍✁ ❑♌❑🕮 ⅄✐✍✁ ↘✗⇧❖➚⑥ ✁✍❀☞❻➚✓◆ ✎◆❒➔✍⑨⌂ 🗐 ✎◆☝✌☞➚❑&✗❑✍ ✍◆❹❑✡❑✍ ⇧⑨⬧🕭 ⬧⬧➒⬧➚✠➚⇖ ✁✍⌂☞③◆🕔✱💣🙰 ⬧➔⌂✓◆🕔☉☞◆🙰 ✍⬧➔⇙☽✐◘➔❑♌◆ ↑،

(الحديد:17) ،يقول ابن عاشور:"هنا يُشير إلى أنّ للكلام الذي بعده مغزى عظيماً غير ظاهر، وذلك أُريد به تمثيل حال احتياج القلوب المؤمنة إلى ذكر الله بحال الأرض الميتة في حاجة إلى المطر، وحال الذّكر في تزكية النّفوس واستنارتها ، بحال الغيث في إحياء الأرض الجدبة ، ودلّ على ذلك قوله بعده : ↓ ⇧⑨⬧🕭 ✎◆❹❑✡❑✍ ⬧⬧➒⬧➚✠➚⇖ ✁✍⌂☞③◆🕔✱💣🙰 ⬧➔⌂✓◆🕔☉☞◆🙰 ✍⬧➔⇙☽✐◘➔❑♌◆ ↑،...لأنّ فيه دلالة غير مألوفة ، وهي دلالة التمثيل."[2]

استنبط ابن عاشور – في أثناء تفسيره للآية– أنّ هناك نوع من الدّلالات التي تظهر في سياق هذه الآية ، وهي دلالة التمثيل، فلم يصرّح بها مباشرة ، وإنّما مُثّل لحال حاجة القلوب إلى الذكر بحال إحياء الأرض بعد موتها، وهذا من بديع التّضمين الذي يعبّر عن وجه من أوجه البلاغة.

2.3 دلالة الإشارة:

قوله تعالى: ↓ ③◆🕔✱🕯❑⑨☙&❑✍ ✁✍✍⑩☪❑🖫✐✗❺ ☽☠❶⬧✁ ⬤◘✱☽⬂☞←🖻❶ ✁✍⑩✡⌘⬦♋⬤✍✐➚◆ ▫⬧⬨◘⬧&⬦☽➔□♎➔♊⬤

[1] ابن عاشور ، التحرير والتّنوير، ج30، ص154.

[2] المرجع نفسه، ج27،ص393.

☜✥☟✥➔☟⑨○☜⊠☝☞☞·↑☎،(الطلاق:01)، يقول ابن عاشور: " معنى التّركيب أنّ عدّة النّساء جعلت وقت لإيقاع طلاقهن، فكنّى بالعدّة عن الطّهر ، لأنّ المطلقة تعتد بالأطهار، ... وفعل (طلقتم)، مستعمل في معنى :أردتم الطّلاق، وهو استعمال وارد، ومنه قوله تعالى: ↓
③♦①✵☥□⑨☞☟□♌ ☞✑▲♣☟⇦▫☞ ↗♦✑☜✡↖□☑✑☎ ☽☟❶·✑
♤➔☺⇧☜←⚐⇔ ☽☟💾■❼ ✑☞⊕○◘■□▤□☝☎ ... ↑ ، والقرينة ظاهرة ، والآية تدل على إباحة التّطليق بدلالة الإشارة، لأنّ القرآن لا يقدّر حصول فعل محرّم من دون أن يبيّن منعه."[1]

يسوق ابن عاشور نوعًا آخر من الدّلالات وهي دلالة الإشارة ، والتي تظهر من خلال إقراره سبحانه للطّلاق، بإصدار حكم يختص به، فإيراد مسائل متعلّقة بالطّلاق يُشير إلى إباحته ،إذ لو لم يكن مباحًا لما أصدر أمرٌ في شأنه يبين أحكامه ، ولكنّ الإباحة لم تكن مباشرة صريحة ، ربّما يعود ذلك إلى أنّه أبغض الحلال إلى الله ،فأشير إليه ولم يصرّح به.

3.3 دلالة فحوى الخطاب:

قوله تعالى: ↓ □♦□🕮□✡▤♤·←□✑☎ ✑☞❀☞③♦◷☺⊠❻▤ ✌☟☾⇗↗⚐⇔
□♦✑☞✒○◷💾☟·♤✓×♦ ✌☟Π⇧ ↖☟⧗♦☞⑩☟✍↗⊜↗
□♦☽☟✌♦☞✒★☒⧗➔☠↗ ▤ ☽☟♌ ③♦▤↗□✡←□✑☎ ▫➔☽·❷♦✑✒↗♦
③↖⇔⊻✡☟♑☟☠↖ ✑☞✒✦ ✌☟Π ▫·☒⇧✑☟🕮☟◷ ▤ □♦✑☞✒✦
□♦◷☞♤↗↗ ↘♦💾☟⑩⚐☒ ↑ (النور:32)، يقول ابن عاشور:"أي لا يحملكم تحقق صلاحهم على إهمال إنكاحهم ، لأنّكم آمنون من وقوعهم في الزّنى ، بل عليكم أن تزوجوهم رفقًا بهم ، ودفعًا لمشقة العنت عنهم، فيُفيد أنّهم إن لم يكونوا صالحين كان تزويجهم آكد أمرًا، وهذا من دلالة الفحوى ، فيشمل الصّالحين غير الأعفّاء والعفائف من المماليك المسلمين ، ويشمل المماليك غير المسلمين".[2]

يتعرّض ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية إلى نوع آخر من الدّلالات ، يُدعى بدلالة فحوى الخطاب ، وهي شبيهة إلى حدّ بعيد بدلالة الالتزام التي تُفهم من سياق أو من فحوى الكلام، فهو يرى أنّه إذا كان تزويج الأيامى والصّالحين من العباد مطلوب وذلك خشية وقوعهم في الزّنى، فإنّ تزويج غير

[1]ابن عاشور، التّحرير والتّنوير ، ج28،ص295.
[2]المرجع نفسه، ج18، ص216.

الصّالحين من باب أولى وأشد، و لم يكن ليتأتّى فهم ذلك إلاّ بالرّجوع إلى الدّلالة الخفية التي يضمرها الخطاب.

5. الدلالة المعجمية للمفردات:

1.5قوله تعالى:🡻 ❍♑◻➔◻▣▫☪◆◷♑◻✍ ☼◆▤◆◷⊠⌖ ◙℮⊠☺◻✍
✍◻◆✓◇✕◆ ③◆⑨◻⑨◸♐◻✍ ◻◆✎◆✍ ⌘◻▣▫⊞⊠♑◻✍
◻◆✎◆◻◸↖⚞→◆◻☪ ◙℮⊠▣▫☺←◢☀◑☞✓✕◆ 🡹، (البقرة، 66)، يقول ابن عاشور:"
النكال بفتح النون العقاب الشديد الذي يردع المعاقَب عن العود للجناية ، ويردع غيره عن ارتكاب مثلها، وهو مشتق من نكل إذا امتنع ، ويُقال: نكّل به تنكيلا ونكالاً بمعنى عاقبه بما يمنعه من العود."[1]

يفسّر ابن عاشور لفظة (نكال) بالعودة إلى معناها المعجمي، وهي كلمة نادرة الاستعمال إلاّ انّه أقوى في التّعبير عن شدّة العقاب والمبالغة فيه إلى درجة الرّدع والامتناع عن الإتيان بالفعل المردوع عنه مرة أخرى ، بل ويكون المنكّل به عبرة لغيره، فالمعنى المعجمي لهذه اللّفظة جعلها تؤدي دلالة أكثر تعبيرًا عن غيرها.

2.5قوله تعالى: 🡻 ✁✍▭⬂◆◻☺⇧⑨← ✎✶ ▫◆✍◐⚞❷⊠
✁✍◙✍○○☺◻◷◻◆◷☠⚞ ◻◆✁✍❀☛❻◸∀⚞ 🡹 (فاطر: 01)، يقول ابن عاشور:"
الفاطر: المبدع والخالق، وأصله من الفطر وهو الشّق ... وعن ابن عباس :" ما عرفت معنى الفاطر حتّى اختصم إليّ أعرابيان في بئر ، فقال أحدهما: أنا فطرتها ، وإجراء هذا الوصف على اسم الجلالة دون وصف آخر استدلال على عدم جدارة غيره لأن يُتّخذ وليًا ..."[2]

لقد فسّر ابن عاشور لفظة (فاطر) بالرّجوع إلى لغة العرب ، وكذلك فعل ابن عباس قبله حين أشكل عليه معناها (لعدم جريان هذا اللفظ بينهم في زمانه) ، وذلك بالاستعانة بلغة الأعرابيين

[1] ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: ج01، ص546.
[2] المرجع نفسه ، ج07، ص158.

اللّذين كانا يفقهان معنى تلك الكلمة ، فالدلالة المعجمية لكلمة (فاطر) قد خدمت كثيرًا المفسّر في معرفة معنى هذه الصّفة المختصّة بالله عزّ وجلّ.

استنادا على ما أسلفنا ذكره في هذا المبحث ظهر لنا مدى عناية ابن عاشور بالمستوى الدّلالي – وخاصة فيما يتعلّق بالسّياق– للوصول إلى الأبعاد الدّلالية التي تصاحب النّصوص القرآنية ولمعرفة مختلف التغييرات الطارئة عليها ، وهذا ما يدلّنا على مدى الأثر الذي يخلّفه هذا المستوى لبيان مقاصد القرآن العظيم .

خـاتـمـة:

بما أنّه لكلّ بداية ختام، و لكلّ مقدمة نتائج فإنّه بعد دراستنا لهذا الموضوع والمعنون ب(أثر مستويات التّحليل اللّساني في تفسير النّص القرآني) ، والذي تناولنا فيه كيفية تأثر علم التّفسير بتلك المستويات والفروع اللغوية واعتماده عليها في فهم مقاصد الذكر الحكيم والوصول إلى دلالات النّص القرآني الكريم ، خلصنا إلى بعض النتائج الرئيسة والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

ـ إن نزول القرآن العظيم بلسان عربي مبين كان له أثر واضح انعكس على هذه اللّغة ، وفضله عليها لا يمكن نكرانه بحال من الأحوال، فقد كان مصدر فخر و رقي لها، وفي المقابل فإنّ اللغة خدمت القرآن العظيم من جانب آخر، ففهمه لا يتسنى إلاّ بفقه أسرارها ومعرفة معانيها.

ـ يعتبر التفسير من أجلّ العلوم القرآنية التي تسعى للوصول إلى مقاصد القرآن العظيم و تدبّر معانيه وتجلية مقاصده وإدراك أبعاده و مكنوناته الكامنة من وراء تراكيبه ، وكذا عن وجوه إعجازه وصور بيانه وبلاغته، والاشتغال به يعدّ من أجلّ القربات وأسمى الغايات .

ـ إنّ نزول القرآن الكريم بلسان عربي يقتضي العلم بأصول اللّغة التي نزل بها ، وهذا ما دفع المفسرين إلى الاستعانة ببعض علوم العربية التي لا غنى لمفسّر القرآن عنها حيث تعينه على تفسيره تفسيراً منطقيًا تلتقي فيه اللّغة بالشّرع ، و هذه العلوم تعصم المفسّر من الوقوع في الخطأ والزلل.

ـ يعدّ التفسير اللّغوي من أنواع التّفاسير بالرّأي المحمود ، والتي حدّدت له شروطاً لا يمكن تجاوزها ،ومن أهمها عدم تعارض المعنى اللّغوي مع المعنى الشرعي ، وإلاّ لكان الأخير هو الأولى بالأخذ.

ـ إنّ أهم الفروع اللّغوية التي استعان بها المفسرون لفهم النّصوص، المستويات الآتية: المستوى الصّوتي، والمستوى الصّرفي، المستوى النّحوي، والمستوى الدّلالي.

ـ إنّ المستوى الصّوتي في اللّغة يعدّ البنية التحتية التي تبنى عليها أية لغة، إذ يمثّل رموزها التي تكوّن نظامها فالكلام البشري يتكون من سلسلة من الأصوات التي تحمل في كيانها معاني وعناصر دالة.

ــ يدرس علم الأصوات الصّوت اللّغوي من حيث إحداثه أثناء نطقه، وتنقلّه حتّى يصل إلى أذن السّامع، وصولاً إلى كيفية تأويله في الذهن.

ــ تؤدي الوحدات الصّوتية وظائف متنوعة تختلف باختلاف طبيعة العلاقة بين الصّوامت والصّوائت.

ــ هناك علاقة وثيقة بين الأصوات اللّغوية ومناسبتها لمعانيها ، ويظهر ذلك بوضوح في القرآن الكريم ، وقد تفطن المفسّرون لهذه القضية ، وحاولوا إحصاء مدلولات الأصوات في القرآن ، سواءً كانت مفردة أو مركبة.

ــ يعتبر ابن عاشور من أهم المفسرين الذين راعوا المستوى الصّوتي في تفاسيرهم ، و عرفوا ما يخلّفه المستوى الصّوتي من أثر في فهم مقاصد الذكر الحكيم، ومن ذلك دلالات: التكرار، دلالة الأصوات على معانيها، الإدغام، الإبدال، العدول الصّوتي، التنغيم... وغيرها من الظواهر الصّوتية.

ــ كماكان للصّوت اللّغوي مكانة في اللّغة ، فإنّ المستوى الصّرفي كان له موقعه من دراساتها، وهو يختص ببنية الكلمة ، أي عند اجتماع تلك الأصوات في مفردة واحدة.

ــ أهم ما وضع في المستوى الصّرفي هو الميزان الصّرفي ، وهو مقياس للكلمة يُعرف به أحوالها وحركاتها، وغايته إدراك عدد حروف المادّة ، كما له الكثير من الفوائد تتجسد في بيان حال الكلمة ، كما يعرّف بعدد الحروف الأصلية فيها، ويوضّح التغييرات الصّرفية التي تحدث فيها ...

ــ يتداخل النّظام الصّرفي بالمستويات الأخرى إذ يشغل منطقة وسط بين علمي الأصوات والنّحو.

ــ عرف مفسرو القرآن ما للصّرف من أهمية في تفسير القرآن ، فاهتموا بالدّلالة التّصريفية له، وحاولوا استقصاء الأثر المعنوي النّاتج عن دلالة المشتقات و الصّيغ الصّرفية على اختلافها.

ــ لقد كان لابن عاشور نصيبٌ من الاستفادة من المستوى الصّرفي في تفسيره (التّحرير والتّنوير)، وسعى للوصول إلى مختلف الدّلالات النّاتجة عن مختلف الصّيغ الصّرفية وتنوعاتها وشتّى صورها، والتي

تؤدي في الأخير إلى تغيير في المعنى من مثل دلالات : اسم المفعول ، اسم الفاعل، صيغ المبالغة، المصادر ، الأفعال من حيث التّعدية والتّجرد أو الزيادة....

. للمستوى الصّرفي أثرملحوظ في الإعانة على تفسير القرآن الكريم تفسيرًا صحيحًا لا يجانب الصّواب.

_ شغل المستوى النّحوي موقعًا هاماً من الدّراسات اللّغوية ، وهو يعنى بدراسة تركيب الجملة، كما يضع القواعد التي تتحكم في نظامها.

_ ترتبط نشأة النّحو العربي أساسًا بالقرآن الكريم، وذلك لخشية الوقوع في الخطأ واللّحن فيه ، إثر دخول غير العرب الإسلام، وظهور العجمة في اللّغة و بذلك ظهرت البوادر الأولى للنّحو.

_للنّحو وظائف عديدة منها: صيانة اللّسان من الوقوع في الخطأ في الكلام الذي يؤدي فساده إلى فساد المعنى ، ومنها أنّه يساعد على اكتشاف العلاقات داخل التّركيب، وأهمها الإحاطة بالمعاني النّحوية لفهم المعنى الدّلالي لفهم النّصوص القرآنية ، واستنباط الأحكام الشّرعية.

_ لم يغفل المفسّرون عن بيان علاقة النّحو بالقرآن العظيم ، فألحوا على ضرورة تعلمّه لمن أراد فهم القرآن فهماً صحيحًا لا مجال للشك فيه، وذلك بالنّظر إلى مختلف القرائن النّحوية _ معنوية كانت أم لفظية _ للوصول إلى مختلف الدلالات المستقرئة من تلك العلاقات .

_ تجسدّت مختلف العلاقات النّحوية بوضوح في تفسير ابن عاشور الذي استعان بها للوصول إلى البنية العميقة والدلالة النّصية للقرآن العظيم ، فقد ساعدت مختلف العلاقات النّحوية وما لها من وظيفة في توجيه معنى النّص القرآني، ومن ذلك دلالات: الحذف ، التقديم والتأخير، دلالة القرائن وأهمها دلالة الحركة الإعرابية.

_ عرف ابن عاشور ما للمستوى النّحوي من أثر في تفسير النّص القرآني ، ولذلك فقد أولى له عناية كبيرة في تفسيره ، بُغية الوصول إلى تفسير منطقي للقرآن العظيم لا يتنافى مع لغة نزوله.

ــ يعدّ المستوى الدّلالي من الفروع اللّغوية التي لا يمكن فصلها عن باقي المستويات ، وذلك لأننّا لا يمكن تصور أيّا منها من دون دلالة، وهو يجمعها جميعاً لإفراز المعنى.

ــارتبط علم الدّلالة في التراث العربي بالقرآن الكريم ، فقد اهتم الأصوليون والمفسرون بدلالة ألفاظه لاستنباط أحكامه ، وفهم مقاصده ، وبيان مراميه، والمستوى الدلالي هو نتيجة لتلاقح بين علوم شتى فلا يمكن حصره في إطار واحد .

ــتختلف أنواع الدّلالة باختلاف تخصص الدّراسة ، وهي فيما يتعلّق بعلوم الدين ، تنقسم إلى: دلالة المطابقة، دلالة التّضمن ، دلالة الالتزام، دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء.

ــ يدور المستوى الدّلالي حول مباحث أساسية : ما يتّصل بالمعنى المعجمي من ترادف و مشترك لفظي وتضاد وغيرها، كما أنّ للسياق دور كبير في توجيه المعنى ومنه المقامي والمقالي ، وما يرتبط بأسباب النّزول وعلم المناسبة....

ــ تمكّن ابن عاشور من إحصاء مختلف هذه المباحث الدّلالية ، و الإفادة منها في تفسيره نظرا لأهميتها لمعرفة المعنى المقصود من النّص القرآني، وتحديد دلالات الخطاب الرّباني، فكان للمستوى الدّلالي أثر لا يخفى في تفسير النّصوص القرآنية.

ــ يعتبر القرآن الكريم نموذجا لسانيًا ، اجتمعت فيه مختلف المستويات اللّغوية متضافرة فيما بينها للوصول إلى كنهه، ومقاصده وبيان معانيه ومراميه، وأثرها واضح وبيّن في جميع نصوصه.

وأخيرا لا يسعنا في ختام هذا البحث إلاّ رجاؤنا أن نكون قد وفقنا للإلمام ببعض محاوره الأساسية من دون تفصيل ممل ، ولا إيجاز مخلّ ، والها الموفق.

فهرس الموضوعات

فهرســـــة الموضوعـــات:

*إهداء.....

*شكر.....

*مقدّمة :.....ص أ

*مدخل :علم التّفسير وعلاقته بالدّراسات اللّغوية.....ص.2.

*الفصل الأول: أثر المستوى الصّوتي في تفسير النّص القرآني.....ص.11.

المبحث الأول المستوى الصّوتي في الدّراسات اللّغوية.....ص.12.

*تعريف علم الأصوات.....ص.13.

*الطبيعة الصّوتية للقرآن الكريم.....ص.14

* فروع علم الأصوات.....ص.17.

*وظائف الصّوت اللّغوي.....ص.18.

*دلالة الصّوت اللّغوي في القرآن
الكريم.....ص.22.

المبحث الثاني: نماذج لأثر المستوى الصّوتي في تفسير النّص القرآني (التحرير والتنوير لابن عاشور).....ص25

*الفصل الثاني : أثر المستوى الصّرفي في تفسير النّص القرآني.....ص36.

المبحث الأول: المستوى الصّرفي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن
الكريم.....ص37

*تعريف الصّرف: لغة واصطلاحًا .....ص37.

*موضوع علم الصّرف ومكانته...39.

*مكونات النّظام الصّرفي في اللّغة

العربية..............................ص40

*تعريف الميزان الصّرفي وفوائده.....................................ص41.

*تداخل المستوى الصّرفي بالمستويات اللّغوية

...............................ص43.

*الدّلالة التّصريفية في القرآن

الكريم....................................ص44.

المبحث الثاني: تطبيقية لأثر المستوى الصّرفي على تفسير النّص القرآني (التحرير والتنوير لابن

عاشور)..ص47.

الفصل الثالث: أثر المستوى النّحوي في تفسير النّص

القرآني.....................ص55.

المبحث الأول:المستوى النّحوي في الدّراسات اللّغوية وعلاقته بالقرآن

الكريم...........ص56.

*تعريف النّحو : لغة واصطلاحًا...ص56.

*النّحو في الدّراسات اللّسانية...ص57.

*نشأة علم النّحو العربي...ص58.

*وظيفة النّحو و غايته..ص60.

فهرســـة الموضوعـــات:

***مكونات النّظام النّحوي في اللّغة العربية.....ص61.**

***العلاقات والقرائن النّحوية.....ص62.**

*** الإعجاز التركيبي في القرآن الكريم.....ص66.**

*** أثر القرينة الإعرابية في تفسير النصوص القرآنية.....ص69.**

المبحث الثاني: تطبيقية لأثر المستوى النّحوي في تفسير النّص القرآني (التحرير والتنوير لابن عاشور).....ص71.

***الفصل الرّابع:** أثر المستوى الدّلالي في تفسير النّص القرآني.....ص78.

المبحث الأول: المستوى الدلالي : موقعه من الفروع اللّغوية وعلاقته بالدّراسات القرآنية..ص79.

***تعريف الدلالة وعلم الدّلالة.....ص79.**

***علم الدّلالة في الدّراسات اللّسانية الحديثة.....ص80.**

*** مكانة علم الدّلالة بين الفروع اللّغوية .....ص81.**

*** الدّلالة في التراث العربي.....ص81.**

*** أنواع الدّلالة.....ص83.**

*** مباحث لغوية من المستوى الدّلالي (المعاني المعجمية: التّرادف، المشترك، التّضاد).....ص84.**

***السّياق، أسباب النّزول، المناسبة.....ص91.**

المبحث الثاني: نماذج لأثر المستوى الدّلالي في تفسير النّص القرآني (التّحرير والتّنوير ابن عاشور)..ص95.

*خاتمة:...ص.104

* قائمة المصادر والمراجع...ص109.

*فهرس الموضوعات...ص115.

قائمة المصادر والمراجع.

1/ القرآن الكريم .

2/ إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3.،2003م. 3

/ إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية، الجماهيرية الليبية، ج1، ط3،1990م.

4/ ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التّصريف، تحقيق: فخر الدّين قباوة، دار المعرفة، بيروت، ج1، ط1، 1407هـ، 1987م 5/ أبو

الفتح ابن الجني، الخصائص، تحقيق: علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر، ج2، دط، دت 6/ أبو عبد

الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تعليق: مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.

7/أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج2، ط3، 1414هـ

8/ أبو قاسم جار الله الزّمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان،ج1، ط1، 1998م.

9/ أحمد البايبي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية،عالم الكتب الحديث،الأردن،ج1، دط

10/ أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414 هـ،1993م.

11/ أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات(الصّوتي، الدّلالي، التّركيبي)، منشورات كلية الدّراسات الإسلامية والعربية ، الإمارات العربية المتّحدة، ط2، 1434هـ، 2013م

12/ أحمد كشك، النحو والسياق الصوتي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006.

13/ أحمد طاهر حسنين ، النّظرية اللّغوية عند العرب(الأصوات ،الصّرف، المعاجم، النّحو)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م 14/

أحمد محمد قدور ، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1996م.

15/ أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب الحديث، القاهرة، ط5، 1998م.

16/ أحم مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ، 2008م

17/أحمد مومن، اللسانيات (النشأة والتطور)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2،2005م.

18/ أف آر بالمر، علم الدّلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، مكتبة الجامعة، بغداد، د.ط، 1985م.

19/أيمن أمين عبد الغني، الصّرف الكافي، دار التوقيفية للتراث، القاهرة، ط5، 2007م.

20/ بدر الدّين الزركشي، البرهان في علم القرآن، قدّم له : مصطفى عبد القادر عطا الله، دار الكتب العلمية ،ج1 ،ط1 ،1408هـ، 1984م

21/ تمام حسّان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 1993م.

22/ تمام حسان، اللغة العربية : معناها ومبناها، دار الثقافة ، المغرب، د.ط، 1994م.

23/ جرجي شاهين ، سلم اللّسان في الصّرف والنّحو والبيان، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط4، د.ت.

24/ جلال الدّين السيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1986م.

25/جليل منقور،علم الدّلالة ، إتّحاد الكتاب العربي، دمشق، دط، 2011م.

26/ حسام سعيد النعيمي، أصوات العربية بين التحول والثبات، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، د.ط، 2010م.

27/ خالد عبد الرحمان العك، من أصول التفسير وقواعده، دار النفاس، بيروت، ط2، 1406هـ 1986م.

28/ خديجة الحديثي، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، مكتبة النّهضة، بغداد، ط1، 1965م، 1385هـ

29/ خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، دط، 1983م.

30/ صالح سليم الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، دط، دت

31/ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

32/ عبد الجليل غزالة، اللسانيات والإسلام والثقافة العربية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجمهورية الليبية، دط، 2009.

33/طالب محمد إسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدّلالة في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشّعري، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 1432هـ، 2011م.

34/ الطّاهر ابن عاشور،تفسير التّحرير والتّنوير،الدّار التّونسية، تونس، ج01،دط، 1984م.

35/ عبد الحميد السيد، دراسات اللغة في اللسانيات العربية، دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ/2004م.

36/ عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار العلوم، القاهرة، د ط، 2002م.

37/ عبد العزيز علام وعبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشد، بيروت، دط، 1430هـ،2.

38/ عبد الله بن يوسف جديع، المنهاج المختصر في علم النحو والصرف، مؤسسة الريان، لبنان، ط3، 1428هـ ،2007م

39/ عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصّرفية في ضوء اللّسانيات الوصفية، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 2006م.

40/ علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب، القاهرة، دط، 2005م.

41/ علي الزوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986

42/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ترتيل القرآن الكريم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ط 1، القاهرة، 1425هـ،2004م.

43/ علي كاظم أسد، المفسر ومستويات الاستعمال اللغوي، الدار البيضاء، النجف (العراق)، ط1، 1428هـ،2007م.

44/علي مهدي زيتون، الإعجاز القرآني وآلية التّفكير النّقدي عند العرب، دار الفارابي، بيروت، 1428هـ، 2007م

45/ فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث (دراسة في النّشاط اللّساني العربي)، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004م.

46/ فايز الدّاية، علم الدّلالة العربي(النظرية والتّطبيق)، دار الفكر ، دمشق، ط2، 1996م.

47/ فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدّلالة ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1412هـ، 1991م.

48/ فريد عبد العزيز الزّامل، الخلاف التّصريفي وأثره الدّلالي في القرآن الكريم،دار ابن الجوزي ، القصيم، ط1، 1427هـ.

49/ كمال بشر، التّفكير اللّغوي بين القديم والجديد، دار غريب، القاهرة، دط، 2005.

50/ماريو باي، أسس علم اللغة ،ترجمة: أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة، 1419هـ، 1998م.

51/ محمد أحمد خيضر، التّركيب والدّلالة والسّياق(دراسة تطبيقية)،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، 2005م.

52/ محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، دار الكيان ، الرّياض، د.ط، د.ت.

53/ محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان ، ج01، ط01، 1413هـ،1993.

54/ محمد حسين الذهبي، التّفسير والمفسّرون، مكتبة وهبة ،القاهرة، ج01، ط07، 2000م.

55/ محمد حسين الذهبي، كتابك (علم التّفسير)، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت .

56/ محمد حسين الصغير، الصّوت اللّغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م.

57/ محمد السيّد الشريف الجرجاني، معجم التّعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت .

58/ محمد السّيد شيخوان، الإعجاز في نظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1398هـ، 1978م.

59/ محمد محمد داوود، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دار جاد للنشر والتوزيع ،ط1، 1432هـ، 2011م.

60/محمد محمد داوود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، د ط، دت

61/ محمد النّقراشي، مناهج المفسّرين من العصر الأول إلى العصر الحديث، مكتبة النهضة، القصيم، ج1،ط1،1407هـ،1986م

62/ محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2004.

63/ محمد محي الدّين عبد الحميد، دروس التّصريف ، الدّار النموذجية للنشر،بيروت ،د.ط، 1416هـ، 1995م.

64/ محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دت، دط.

65/ محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللّغة ، دار قباء، القاهرة ،د.ط، د.ت.

66/ مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ،لبنان، ط08،1426هـ،2005م.

67/مجمع اللّغة العربية،المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،مصر،ط.4،1425هـ،2004م.

68/ مساعد بن سليمان الطّيار، التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي ، د.ط،د.ت.

69/ مساعد بن سليمان الطّيار مساعد بن سليمان الطّيار، فصول في أصول التّفسير، دار النّشر الدّولي ، الرّياض ،ط1، 1413هـ، 1993م.

70/ مصطفى الصادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط9، 1393هـ ،1973م

71/ نادية رمضان النّجار ، القرائن بين اللغويين والأصوليينً، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2015.

72/ نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، دت، دط.

73/ نعمان بوقرة، المدارس اللّسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، د.ت.

74/ نور الهدى لوشن، علم الدّلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2006م.

75/ هادي نهر، الصّرف الوافي(دراسة وصفية تطبيقية)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م

76/ هادي نهر، علم الدّلالة التّطبيقي في التراث العربي،عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2011م

77/ يوسف المرعشلي، إعجاز القرآن والدّلالات الصّرفية ،دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2011م